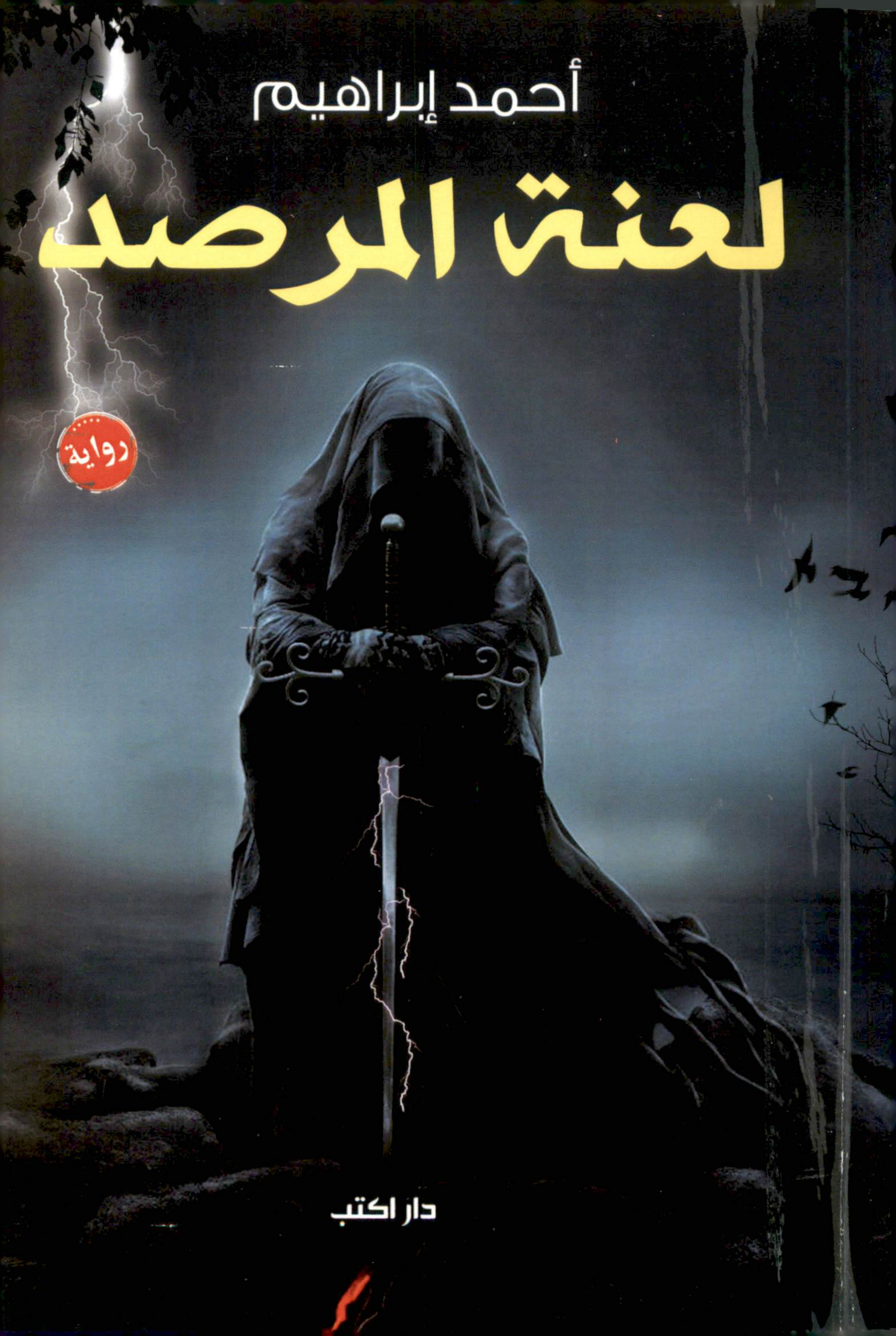

أحمد إبراهيم
لعنة المرصد
رواية
دار اكتب

لعنة المرصد

رواية

أحمد إبراهيم

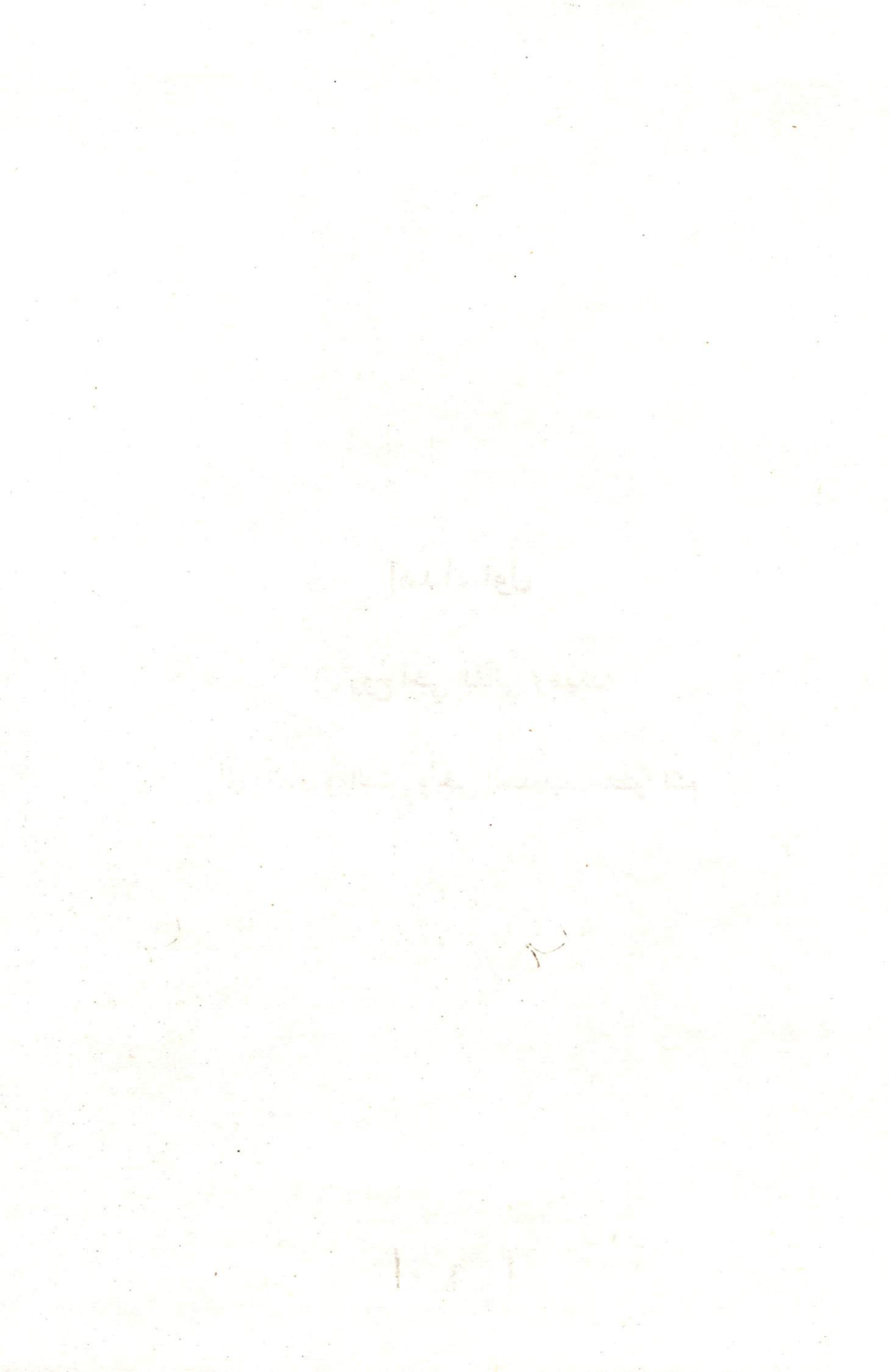
OKTOB.NET دار اكتب للنشر والتوزيع

دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء أول

إلى روح أخي الغالي / مهند

إلى والدي ووالدتي وأخي الحبيب.. شكرًا لكم



إهداء خاص

إلى أخي الغالي وأستاذي الدكتور محمود صلاح

الكاتب / محمود وهبه

الكاتب / محمد عصمت

الكاتب / إسلام عبد الله

الكاتب/ أحمد ناصر

الكاتب / محمد الصفتي

الكاتب / أحمد القرملاوي

الكاتب الدكتور / محمد نجيب عبد الله

الكاتب / شريف عبد الهادي

الشاعرة الجميلة وصاحبة القلب الذهبي / إيناس ناصر

الكاتبة الرقيقة / سالي مجدي

الدكتور / عمرو مرزوق

الدكتور/ إيهاب عصمت

الكاتبة / هند عبد الله

الدكتور / تامر عطية

أستاذي / عماد العادلي

إلى إخوتي الكاتبات:

منال عبد الحميد – آية هلال – سلمى حسني – فاطمة الزهراء بدوي – المشاغبة مني عبد العزيز– ريماس صالح– مروه الجمل– إيمي يوسف–إيمان عبد المقصود–منة رمضان – منة الله رأفت – إيناس الدسوقي– مكرم خلف– الشيماء عبد العال– فاطمة الزهراء الزاهر– أميرة الهوا ري– هداء الجالي – فاطمه الشيشيني – صبرينه غلمي – د/ مني حارس – ولاء يوسف – ريهام سمير– دينا محمد – إيناس السعدني

الكتاب الشباب: الكاتب محمد مسعد–علاء عبد الناصر– محمود جمال– خالد عمار –ناصر رمضان–رامي فخري–كريم محمد علي– محمد صلاح شديد– عثمان عبد المنعم أوسا–أيمن سليمان– إسلام وهيب–إبراهيم حلمي–محمد الخزنجي–أحمد عمرو–حسام محمد– أحمد زكي–أحمد تاج–حسن عبده–أحمد بدران–هيثم حسن–أحمد شوقي مبارك – عبد الرحمن جاويش – رامي أحمد – أحمد الشاعر – هاني رمضان – محمود إمام – أحمد سلام –محمد راضي –مصطفى النجار–محمد أبوالنجا–أيمن العايدي–محمود قشطة–أحمد أسامة – وليد الفقي

إهداء خاص إلى أختي الجميلة والصغيرة/ إسراء مصطفى

شكر خاص للقائمين على جروب ساحر الكتب لما يبذلونه من مجهود خارق في المجال الأدبي

شكر خاص لرابطة الأدباء المصريين جميعًا وبدون استثناء لما يبذلونه لرقي المجال الأدبي

"يا مَن تقرأ سطوري الآن، يا من فتحت باب المرصد الخامس، اعلم أنني أنا الابن الخامس لهم والأقوى، لا أبالي بمن حولي ومن عيني قد مات صريع لقائي، فلا تتعجل بموتك فهو آتٍ لا محالة، قوتي تكمن في النار، قوتي هي تلك النفوس المريضة التي سوف ألتهمها بمجرد أن تقرأ تلك البردية، اعلم أن المعركة الكبرى آتية لا محالة، فبكشفك لسري وإعطائي الاذن بالاستيقاظ قد جلبت معك نهاية العالم، وأنا من سوف أُبعث مع الحبشي مرة أخرى ولن نبالي إنسًا أو جانًّا، ولن تستطيع أي قوة أن تقف أمامنا، فهو قادم من مرقده مره أخرى، ولا نبالي بمن حولنا والضحية هو أنت يا من تقرأ رسالتي، ويا صاحب العهد أيًّا كان ماهيتك فلا عهد لك معي، فالآن حان دوري وتفتح أبوابي ولن تُغلق إلا بخروجه".

أتلك هي البردية التي سوف تقوم المعركة الكبرى من أجلها؟ وما السر وراء الحبشي؟ هكذا قالها أحمد بعد أن سرق البردية الخامسة من الشيخ مصطفى أو خادم صاحب العهد كما ظن، ثم انطلق مطلقًا لساقيه العنان حتى وصل إلى الاستراحة الخاصة به، ولكن أحمد لم يعرف أنه هو الخادم وان ما في تلك البردية هو مجرد استدعاء ليس أكثر.

***

(1)

في ليلة كالحة السواد، وبالتحديد في المنطقة الجنوبية لمصر على الحدود مع إحدى الدول شبَّ حريق هائل ولا أعظم من انفجار بركان كبير من الحمم يأكل الأخضر واليابس، منطقه دائرية بطول **20** كيلومترًا طولًا و**10** كيلومترات عرضًا، وهي مساحة أرض المطار بالكامل، شبَّ ذلك الحرق الهائل، حريق عظيم منظره يرهب أشد القلوب قسوة، فكأنها نار الله الموقدة في الأرض تأكل ما حولها، ترتفع ألسنة اللهب لتصل لعنان السماء، منظر مهيب لا يستطيع أحد وصفه.

30 كيلومترًا هي المسافة ما بين وحده المطافئ ونقطه الشرطة والمطار، فتحركت جميع الأجهزة، بل تم إبلاغ المدن المجاورة ونقاط المطافئ والإسعاف بإرسال عرباتهم لوجود حريق ضخم ولا تستطيع قوى الحماية المدنية الموجودة السيطرة عليه، وبالفعل تحركت تلك

جميع السيارات في محاولات لإخماد ذلك الحريق الضخم ثلاثة أيام بثلاث ليالٍ، ولم تخمد بعد حتى تحوَّل المكان إلى جهنم في الأرض، فتمت الاستعانة ببعض من وحدات الجيش لإخماد الحريق، وفي اليوم السادس تم إخماد الحريق، ولكن لم يستطع أحد الدخول إلى تلك الدائرة، فالأرض ما زالت ملتهبة كالبركان جراء الحريق.

بعد أن أخمدت النيران وأصبح ذلك المكان كبركان هامد ولا تفوح منه سوى رائحة الخراب، تم العثور على تلك الحقيبة والتي لم يمسسها سوء من جراء الحريق، اقتربت يد بقفاز أبيض وأفرغت محتوياها، وجد الممسك بالحقيبة حفنة من الأوراق القديمة إلى جانب 5 مذكرات وهاتفٍ جوال مكسور نصفين وبعض الأوراق الشخصية التي تدلُّ على صاحبها، ثم نظر بعينيه إلى ذلك السلم المعدني المؤدي إلى برج المراقبة فوجد آثار حذاء تشير إلى أن صاحبها كان في عَجلةٍ من أمره.

***

أنا أحمد فهيم المراقب الجوي الوحيد في ذلك المطار طبيعة عملي فرضت عليَّ قبول تلك المهمة الصعبة التي هرب منها الكثير من الزملاء، فأنا المسئول الأول والوحيد عن تأمين الطائرات وسلامتها والمسئول عن تحركاها بدءًا من تشغيل محركاها إلى إقلاعها من أرض المطار حتى تسليمها إلى وجهتها، والعكس صحيح حين استقبل تلك

الطائرات حتى تـــأمين هبوطها إلى أرض المطار وإيقافها في أماكن انتظارها،وظيفتي هي السهل الممتنع والتي لا تقبل أي خطأ ولا تتحمل أيًّا من العوارض، فلا بد من حُسن التصرف وسرعته في أي موقف من المواقف التي أتعرض لها.

بداية يومي العملي هو على حسب جدول تشغيل المطارات فتوجد مطارات جدول تشغيلها من الشروق إلى الغروب، وبعض المطارات الأخرى على مدار الأربع والعشرين ساعة، كنتُ أجلس في بداية يوم مُشرق في مطار "الجميل" وهو أحد المطارات الموجودة في إحدى المحافظات الساحلية، أستقبلُ تلك الطائرات وأُعطيها الإذن بالهبوط أو الإقلاع حتى أتى زميلي المنوب لاستلام الوردية المُقسَّمة بيننا من الشروق والغروب، وكان على وجهه علامات التعجب، وقال لي أحمد:

– انزل إلى المدير فهو يريدك لأمر مهم.

فتعجبت لأن الساعة قاربت على الثالثة عصرًا وهو ميعاد غير معتاد أن يجلس مديري لذلك الوقت، فهممتُ بالنزول حتى رأيتُ على وجهه علامة حزن أو إشفاق لم أستطع أن أحدد سوى أنه قال لي بنبرة غير اعتيادية: أنه أتت نشرة التنقلات الاحتياطية وتطالب بنقلي إلى ذلك المطار النائي الذي لا يقوى أحد على الذهاب إليه.

في أحد المباني الحكومية الخاصة بجهاز الأمن القومي دخل المُقدم أكمل ضرغام وهومن أمهر ضباط القطاع إلى أروقة المبنى يقدم إليه العساكر التحية حتى هَمَّ بالدخول إلى مكتبه، فوجد ملف اختفاء المراقب الجوي، فنظر إلى الملف وعلى وجهه تجهُّم عجيب، واستدعى ذلك العسكري المسئول عن مكتبه وسأله عن ذلك الملف وحين همَّ بالكلام رنَّ جرس هاتف مكتب أكمل وعلى الطرف الآخر مكتب العميد فوزي عبد الحميد يطلبه على وجه السرعة فهمَّ مسرعًا إليه.

***

أخلدُ إلى فراشي وفي رأسي تلك الأصوات اللعينة التي طالما سمعتُها منذ أن وطئت قدماي أرض ذلك المكان اللعين..صرخات واستغاثات من تلك الطائرة المجهولة.. لِمَ لا يستمع لها أحد غيري؟ ولِمَ وقع الاختيار عليَّ حتى أذهب إلى ذلك المكان؟ أهو القدر المشئوم أم هو تعنُّت من إدارتي؟ لا أدري، ولكني وما أريده الآن أن يتوقف ذلك الصوت الملعون.. لا أستطيع النوم، أصبحت مرهقًا لا يشغل بالي غير تلك الأصوات وتلك المشاهد التي أراها يوميًّا، وذلك العجوز القبيح الدكتور محب ذلك الشخص غريب الأطوار الذي يحمل الكثير والكثير من الأسرار، والتي سوف أعرفها عنه.

هكذا أمسك المقدم أكمل ضرغام تلك المذكرة من ضمن خمس مذكرات التي لم تمسها نار الحريق الهائل التي وجدها جهاز البحث الجنائي الذي أتوا للتحقيق في واقعه اختفاء المراقب الجوي وحريق أرض المطار بالكامل.

البداية مكالمة هاتفية لمكتب المقدم أكمل ضرغام، العميد فوزي عبد الحميد مدير مكتب التحقيقات بمبنى الأمن القومي عندما أتى إليه مكالمة هاتفية تفيد باختفاء المراقب الجوي المسئول عن أحد المطارات النائية على أطراف الحدود الدولية، ثم مكالمة من إحدى الجهات العليا التي قلبت الأمور رأسًا على عقب وهو حريق ذلك المطار بالكامل بعد اختفاء المراقب الجوي به.

فقد تم تكليف المقدم أكمل للتحقيق في هاتين الواقعتين ومعه فريق كامل من الخبراء وجهاز البحث الجنائي، ومن هنا بدأت التحقيقات الموسعة حول ملابسات القضيتين.

فقبل السفر قرر أن يزور المبنى الإداري الخاص بشؤون المراقبين الجويين للتحقيق معهم،فمن هو ذلك المراقب الجوي المدعو أحمد فهيم أو فهيم كما أطلق عليه زملاؤه في العمل، وهنا عرف أنه شخص عادي ليس له أي ميول أو انتماءات قد تشير أصبع الاتهام إليه أو حتى أن يكون مشتركًا في أي شيء غير قانوني، فالمعروف عن المراقبين

الجويين أنه يتم اختيارهم بعناية فائقة وبعد تحريات أمنية شديدة وشاملة.

فبعد تحريات قام بها المقدم أكمل وفريقه في المبنى الإداري لشؤون المراقبين الجويين، تم استدعاء زميل المراقب الجوي المختفي أحمد فهيم، المراقب الجوي محمود وهبه الذي ذهب مسرعًا إلى مكتب المقدم أكمل، ثم بدأ الحديث عن المطار وما علاقته بزميله. وما سر عدم ذهابه إلى ذلك مقر عمله بذلك المطار النائي؟ وهل هاتَفَ زميله في تلك المدة؟ والمقررة في دفاتر شؤون المراقبين الجويين بأن تلك المدة التي قضاها وهي شهر كامل أي ثلاثون يومًا قبل اختفائه وإحراق أرض المطار بالكامل.. لم يجد محمود مفرًّا غير سرد وقائع بعض المكالمات مع زميله الذي ظن رؤساؤها نه مجنون أو يدعي المرض حتى يهرب من مهام وظيفته في ذلك المطار اللعين.

أخذ محمود في ارتشاف كوب الماء قبل أن يبدأ حديثه قائلًا:

- أعلمُ أن ما سوف أقصه عليك لن تصدقه، وسوف تقوم بتكذيبي كما فعل رؤسائي بالعمل، ويُقال عني إني مجنون كزميلي المرحوم أحمد.

فنظر له أكمل نظرة شك وقال له:

- أعد عليَّ ما قلته الآن.

فنظر له محمود نظرة يأس، وقال له:

– أحمد قُتل ومَن قتله ليس بشريًا مثلنا.

فاعتدل أكمل على كرسيه قائلًا:

– أرى أن الخرافات سوف تبدأ.

ولكن نظرة محمود له جعلته يتأكد أن هناك أمرًا مريبًا، فلا بد من معرفته حتى يلحق بفريقه للسفر لذلك المطار النائي.

نظر له محمود قائلًا:

– صدر قرار نقلي إلى ذلك المطار برفقة زميلي أحمد،وهو شخص على خُلُق هادىء الطباع يعشق عمله، ولكنه عندما علم قرار نقله إلى ذلك المكان ثار ثورة غريبة لم أرَ مثلها طيلة حياتي العملية، وأنا أقدم منه عمليًا حتى حصلت بعض المشادات بينه وبين رؤسائه حتى استسلم للأمر الواقع، وقرَّر الذهاب علي مضض، وبالفعل ذهب أحمد إلي هناك وحده، حتى اتصلت به على مدار يومين فلم يُجِب على هاتفه إلا في اليوم الثامن وهي أول مكالمة تدور بيننا.

قال: إنه بدأ ملاحظة أشياء غريبة في ذلك المكان وأن من معه من طاقم العمل بالمطار قد غادر بعد أسبوع واحد من استلامهم قرار العمل هناك.

في باديء الأمر ظننتُ أن أحمد لشدة كُرهه وخوفه من ذلك المكان الغريب الذي رفضَ أكثرُ من مراقب جوي الذهابَ إليه أو أنهم يذهبون إليه ثم يعود سريعًا أنه يختلق أي عذر لعله يهرب من ذلك المكان..

المكالمة الثانية كانت في اليوم الخامس عشر المقرر فيه تسلم نوبة العمل منه، ولكن كان لديَّ ظروف خاصة تمنعني من الذهاب إلى هناك، وقال لي إن الأصوات بدأت في ازدياد أصوات استغاثات ركاب، وصرخاتهم على الأثير الخاص بنا أو ما يُسمى بموجة الراديو التي نستطيع من خلالها الاتصال بالطائرات، حتى قمت بالاتصال بالمهندس يوسف المسئول عن أعمال الصيانة والتسجيلات الخاصة بالمحادثات بيننا وبين الطائرة،وقال لي إن صديقي يعاني شيئًا ما، وأبدى انزعاجه الشديد، وأن يأتي إلينا أحد لأن طاقم المطار بأكمله قد رحَلَ بلا عودة وأنه سوف يرحل أيضًا، فحين سألته لماذا، لم أفهم كلماته التي كان يتحدث بها وكأن شيئًا ما يتربص به، ولكن لم أفهم غير أنه مكان ملعون.

شعرتُ بالخوف على زميلي وما يحدث هناك، ولذلك أبلغتُ المسئول عن حركة التنقلات لما يحدث هناك.

فقال لي: إنه لا دخل له بما نقوله، وأنه من الأفضل مباشره القيام بأعمالنا وإلا تعرضنا للعقوبة الشديدة.

المكالمة الثالثة، وهي المكالمة الأخيرة لي مع زميلي أحمد بأنه سوف يقوم باستكشاف ذلك المكان اللعين، ونبَّهني إلى عدم حضوري حتى يتسنى الوقت له للكشف عن حقائق ذلك المطار وما يحتويه، وهنا اقشعر بدني أكثر وقلتُ له إني سوف أبلغُ المسئولين و.. ولم أسمع ردًّا منه بل سمعت صوتًا أشبه بلغةٍ أجنبية غريبة النطق وأن هناك مَن يتممها حتى انقطع الاتصال نهائي، وعندما حاولت مهاتفته مرة أخرى لم يُجبني كعادته.

***

ذهبَ أكمل إلى بيته وعلى وجهه علامات استفهام كبيرة لما كلّفه به مديره من مهمة وتحقيق غريب، ولكن كعادته لم ينبس بأي كلمة حتى لاحظت زوجته الدكتورة حبيبه ما حلّ بزوجها من شرود وعدم الكلام حتى سألته:

– ما بك يا أكمل اليوم فأنت على غير عادتك؟

فنظر لها أكمل نظرة شرود طويلة حتى لاحت بيديها أمام وجهه فقال:

– لا يوجد شيء مجرد تحقيق كلّفني به مديري بالعمل، ولكنه تحقيق غريب الأطوار حتى أني لا أستطيع التفكير في كيفية حله.

فنظرت له ضاحكة قائلة:

- المقدم أكمل يعجز عن حل قضية، يا لسوء الحظ!

فنظر لها أكمل نظرة جدية قائلًا لها:

الموضوع غريب فعلًا، اختفاء مراقب جوي وحريق مطار بأكمله لا أظن أنها قضية عادية.

يرنُّ هاتف المقدم أكمل فيقوم من نومه مفزوعًا، وأمسك الهاتف فإذا هو العميد فوزي على الهاتف وبلهجة حادة على غير المعتاد وبدون أي مقدمات قال له:

- أكمل،عليك بالتحرك فورًا إلى مكان الحادث هناك مستجدات غريبة حدثت، أريد تقريرًا مفصلًا على مدار الأربع والعشرين ساعة القادمة لحين انتهائك من التحقيقات، ينتظرك أسفل المنزل سيارة سوف تقلك إلى ذلك المكان النائي فعجِّل بتجهيز نفسك، وأعطني إشارة البدء في التحقيقات.

ولم يكَد أكمل يتلفظ بأول كلمة له من منذ بداية المكالمة حتى أغلق العميد فوزي الهاتف.

قبَّل زوجته على جبينها وهي نائمة تاركًا لها رسالته أنه ذهب إلى المهمة على عجلٍ من العميد فوزي، وأنه سوف يتصل بها حين يصل إلى هناك، وترك رسالته بجانب هاتفها حتى تستطيع رؤيتها، وحين استيقظت كان قد غادرَ ذاهبًا إلى تلك البلدة النائية القابع فيها المطار

ومسار أحداث تلك الحادثة الغريبة والتي شغلت الجهات العليا كثيرًا قبل أن تصل أي أخبار إلى الصحف ووسائل الإعلام.

***

ذهب أكمل إلى تلك المحافظة النائية القابع فيها المطار على الحدود الدولية، وهنا بدأت مهمة البحث عن الحقيقة، وهو في ذهنه كلام محمود المراقب الجوي بأن زميله قد قُتل ولم يختفِ اختفاء عاديًّا.

شرد ذهنه إلى لحظات حتى وصل إلى موقع الحادث فرأى أن فريق البحث الجنائي قد نَصَبَ خيامه بالقرب من أرض المطار بكيلومترين على أقل التقدير حتى ثار وغَضبَ وصاح بهم:

- لِمَ لا تقوموا بعملكم.

فيقول له أحد ضباط القطاع:

- إن أرض المطار ما زالت مُشتعلة، وكأنها حمم بركانية قد طفت على تلك البقعة بمسافة كبيرة وهي مساحة أرض المطار.

فنظر لهم أكمل بغضب شديد، وقال:

- غدًا سوف نبدأ العمل علي تلك القضية أريد إنهائها في أسرع وقت.

ذهب أكمل بصحبة الرائد سعيد إلى استراحة الضباط التي تبعد عن مكان الحادث ب 4 كيلومترات، في أثناء ذهابهم قال أكمل للرائد سعيد:

– أخبرني ما حدث هنا بالضبط بما أنك الضابط المُكلَّف بحماية تلك المنشأة المهمة.

فنظر له الرائد سعيد قائلًا:

– إنه في يوم 1/26 تلقيتُ اتصالًا هاتفيًّا من المركز تُفيد بوجود جثة مُعلَّقة في مقر الوحدة الصحية الخاصة بالمطار والتي تبعد عنه تقديريًّا بكيلومتر، والغريب أن الجثة مُعلَّقة بحرفية شديدة ومشطورة إلى نصفين، إلى جانب بعض الرموز والطلاسم الموجودة بدم ذلك القتيل والتي تم تصويرها بهاتف أحد الضباط الموجودين.

نَظَرَ له أكمل في ذهول شديد وقال له:

– وما علاقة ذلك الحادث بما نحن فيه الآن؟ ومَن ذلك القتيل؟ وما علاقتنا نحن به يا حضرة الرائد؟

نظر له الرائد سعيد في غضبٍ وقال له:

– القتيل هو الدكتور محب المسئول عن الوحدة الصحية الخاصة بالمطار، وهو أقدم شخص هنا، فإذا أردتَ يا حضرة المقدم الربط بين حادث القتل وحادث اختفاء ذلك المتعجرف المراقب الجوي أحمد

فاربط بينهما وسوف تعلم أن من قتل الدكتور محب هو نفسه الذي تُحقِّق في اختفائه.

نظر له أكمل وقال له:

– إذن أنت على علم بأن مقتل الدكتور محب مرتبط بذلك الشاب المختفي إذن فالقضية محلولة، ولكن معلوماتك غير دقيقة أو صحيحة، فكيف يقتل ويختفي ثم يحرق المطار؟ أهو تابع لمنظمة إرهابية هدفها النيل من استقرار دولتنا أم هو حادث فردي؟ وكيف أحرق مطارًا على مساحة شاسعة؟ ومن ساعده عليها؟ أرجو أن تتحرى الدقة أكثر وتترك لنا عملنا في البحث والتنقيب في تلك الواقعة.

نظر له سعيد بحنق شديد واضح على قسمات وجهه، وقال له:

– كما تريد.

وقطع حديثهما رنين هاتف أكمل حيث استدعاه أحد ضباط البحث الجنائي في أمر مهم، فهرول أكمل إلى جانب سعيد إلى المكان الذي حدَّده لهم ضابط البحث الجنائي حيث عثر على حقيبة يد صغيرة بها خمس مفكرات، وهاتف محمول عليه آثار دماء ممزوجة برائحة كريهة، فأخذها أكمل بحذرٍ شديدٍ حيث أمرَ بأن يقوموا بإرسال تلك الحقيبة بمحتوياتها إلى المعمل الجنائي بالقاهرة.

ولكن شيئًا ما حدث فوقعت تلك الحقيبة أرضًا وهوت تلك المذكرات فالتقط واحدة منهم وهمَّ بقراءة بعض من صفحات تلك المذكرة ثم نظر إلى سعيد قائلًا له:

– اتركوا لي تلك المذكرات وأرسل لي ذلك الضابط الذي بحث في بلاغ مقتل الدكتور.. ما اسمه؟

فرد عليه سعيد قائلًا:

– الدكتور محب يا سيادة الرائد، مع العلم أن تلك الواقعة معي.

فقال له:

– حسنًا ما أريده الآن هو رؤية تلك الصور المأخوذة من موقع الجريمة، وأيضًا أريد تقريرًا مُفصلًا عن طاقم العمل بالمطار أكمله وأين هم وقت الحادث؟ أريد كل التفاصيل المتاحة غدًا.

***

(2)

اليوم 12/27..

استيقظت على غير عادتي صباحًا لأجد هاتفي يرن، نظرتُ إلى هاتفي بتوجُّس، فإذ هو رئيسي بالقطاع يطالبني بالحضور فورًا لاجتماع طارئ على غير العادة، أحسستُ بوخز من القلق والخوف غريب فلماذا رئيسي بنفسه يطلبني شخصيًّا؟ ولماذا أنا دون باقي زملائي؟ لا أستبشر خيرًا بتلك المكالمة غريبة الأطوار.

أخذت أحضِّر نفسي سريعًا للذهاب حتى رنَّ جرس هاتفي مرة أخرى فإذا هو زميلي محمود القادم من مطار آخر يقول لي:

- إنه في انتظاري عند مبنى الإدارة.

فهرولت مسرعًا، إذًا فأنا في أمر جلل لا أعلمُ ما هو ولا أستبشرُ خيرًا.

وصلتُ إلى مبنى الإدارة الخاصة بشؤون المراقبة الجوية، فقابلني زميلي محمود بابتسامة بلهاء تدعو إلى القلق فقلت له:

- ألا تعلم لم تم استدعاؤنا.

فردّ عليَّ ردَّ مَن يخفي أمرًا ما وهو ما ظهر على صوته حيث قال لي:

- لا أعلم، ولكنه كالعادة نُقل من مطار لآخر أو لشيء آخر.

نظرت له بريبة، وقلت له:

- أعلم أنك تعرف ما نحن بصدد مواجهته مع رئيسنا، ولكن احذر لو علمت أنك تعلم شيئًا.

فقال لي والغضب علا قسمات وجهه:

- أهو تهديد أم ماذا يا كابتن أحمد؟

نظرت له وقلت:

- ليس تهديدًا، ولكنه نذير شؤم لك.

عندما دخلنا إلى مكتب رئيسنا بالعمل استقبلنا بترحاب على غير العادة مما جعل الشك يأخذ موضعه في قلبي أكثر تجاه تلك المعاملة المثالية التي لم نتعودها منه، مع العلم أني كنت أعلمُ بما ينتظرني منه، فنظر لنا وبدون أي مقدمات فقال:

– لقد تم اختياركم لأحد المطارات النائية الواقعة على الحدود الدولية بالوادي الجديد.

ماذا؟ أهو ذلك المطار المسمى بمقبرة المراقبة الجوية، أهو من يهرب منه ويبتعد الجميع؟

نظرتُ إلي زميلي بحنق وغضب شديدين، ووجهتُ إليه الاتهام بأنه يعرف،ولكن الغريب أنه لم يُكذِّب كلامي فهو على علم بأنه تم بالفعل نقلنا إلى ذلك المطار وليس باليد حيلة في الأمر.

***

عدتُ إلى المترل وأنا شارد الذهن، وعلى وجهي قسمات غضب واضحة مما حدث، وذلك النقل المفاجئ والترحاب غير المعتاد من رئيسي بالعمل، وقد ظهر كل هذا حين دخلت إلى مترلي وألقيتُ مفاتيح سيارتي على المنضدة، ثم جلستُ إلى أقرب كرسي كي أستريح وأحاول أن أستوعب تلك الصدمة والحيرة التي تسبَّب بها ذلك الخبر التعيس، حتى أتت زوجتي من عملها ورأتني وأنا أُشعِلُ سيجارة رغم إني توقفت عن تلك العادة القبيحة منذ قرابة سنتين ونصف، وهي عمر ابني إياد إلا أنها قالت لي:

– ما بك؟ وما سرُّ رجوعك لتلك العادة؟ الحمد الله أن إياد عند أمي اليوم، قل لي ما بك؟ ولِمَ تلك النظرات الغاضبة؟

قصصتُ عليها ما حدث لي مع مديري ونقلي المفاجيء لذلك المكان،ولكنها طبعت على خدي قُبلة حانية طالما طبعتها كلما شعرت بعجزي عن التفكير في شيء ما أو في حالات غضبي.

نظرتُ لها وأنا أتصطنع الابتسامة بأن الأمور سوف تسير على ما يُرام، ولكن في داخلي لا يوجد شيء على ما يرام.

ربتت زوجتي على كتفي وقالت لي:

سوف أُحضِّر الآن طعام الغداء فلا داعي للكسل، وانهض حتى تحضر معي مائدتنا العامرة.

فضحكتُ وقلتُ لها:

– وما غداء اليوم؟

فقالت لي:

– اليوم هو يوم سعدك، فأمي قد أرسلت لي طعامًا شهيًّا سوف تُفاجأ به.

فابتسمتُ، وقلت لها:

– ما يأتي من أمك لا أستبشرُ به خيرًا، فللّه الأمر من قبل ومن بعد.

ونهضتُ إلى غرفة نومي، وعندما هممتُ بالدخول انتاب رأسي الكثير من الأفكار والصور المتعلقة بذهني من قصص زملاء سابقين

كانوا يعملون به، ولكن الغريب أن الفرد منهم لم يستمر عمله شهرًا أو شهرين على الأكثر، ويطلب نقله أو يطوله المرض..

لا أعلم، شعور أني مُقبِل على شيء غريب ومريب لهو أمر يقلقني..

انتبهتُ إلى زوجتي وهي تضربني ضربة خفيفة مازحة وتقول لي:

– إن الهرب لن ينفعك.

فتصنعتُ الضحك، وقلتُ لها:

– سوف آتي إليكِ حالًا.

جلسنا إلى مائدة الطعام حتى بدأت زوجتي كعادتها في الحديث عمَّا دار معها في عملها وعن قصص صديقاتها بالعمل وحكاياتهنَّ، كنت أستمع إليها لكن عقلي في مكان آخر، حتى شرد ذهني، ولم أنتبه إلى أن لوَّحت لي زوجتي بسكين الطعام مازحة وهي تقول:

– أنت على غير العادة، فما بك زوجي الحبيب؟ أهي المرة الأولى لك أن تتنقل من مكان إلى آخر؟

فنظرتُ لها وقسماتُ وجهي واضحة المعالم من الحيرة والقلق ولم أُجبها.

فصاحت بي:

- ما بك؟ أرجو أن تُطمئنني عليك، فأنا لا أعلم ما بك، ولا أنا معتادة تلك النظرات.

فقمتُ من فوق المائدة مُتقدِّمًا إليها وقمتُ بتقبيل رأسها وذهبت إلى غرفتي.

جلستُ على الكرسي بالقرب من نافذة غرفة نومي وأشعلتُ سيجارة لا أعلم ما رقمها اليوم في عدد السجائر التي قمتُ بتدخينها وعودتي إليها بتلك الشراهة، وأخذت الأسئلة تجوب إلى ذهني عن عدد المراقبين الذين ذهبوا والذين مرضوا في ذلك المكان النائي المسمى بأرض المطار، وكيف لي أنا حديث العهد كما يقول رؤسائي أن أذهب مكان كهذا.. لا أعلم، فقلبي ينبض بشدةٍ، وعقلي يكاد أن يطير من جنون التفكير في ذلك المكان، وعن زميلي الذي لم أتعامل معه بتاتًا وصار شريكًا لي في ذلك المطار.

دخلت زوجتي ونظرت لي في حزن وقالت لي:

- أحمد ما بك؟ فأنا الآن قلقة عليك، لا أعلم ما أنت فيه، تكلم معي حتى نستطيع التفكير معًا من أجل ابننا إياد، تكلَّم، ما بك؟

نظرتُ لها وتصنَّعت الابتسامة حتى يطمئن قلبها، وقلت لها:

- لا شيء هي مجرد متاعب عمل ليس أكثر.

فنظرت إليّ بجديةٍ، وقالت:

– أهو مطار خطير لدرجة أن يجعلك شارد الذهن عابس الوجه أم هي المشكلات المعتادة مع ذلك المتعجرف؟

فقلت لها:

– الموضوع ليس مثل الذي قبله، الموضوع هو إرسالي لمقبرة المراقبين الجويين، ذلك المطار اللعين الذي لم يذهب إليه مُراقب إلا وحدثت له أشياء عجيبة أو يمرضون أو لا يذهب إليه مرة أخرى، فعلى مدار العامين الماضيين أكثر من **10** مراقبين جويين مرضوا بأمراض غريبة، نعم تماثلوا للشفاء منها ولكن ما سِرُّ ارتباط المكان بالمرض؟ ولماذا لا يتكلم العائدون من ذلك المكان عنه؟ ألا تجدين ذلك غريبًا؟

نظرت له نظرة ريبةٍ وشك وقالت له:

– الله ورسوله أعلم، سلِّمها لربك، وسوف تمر كما مرت سابقتها.

لم أنظر لها ألا وأنا أنهضُ من مكاني أنظر إلى النافذة والمطر يهطل بشدة وأقول لها:

– لا أعتقد هذا.

اعتدل أكمل في جلسته وأشعل سيجارة من علبته، ولم ينتبه إلى هاتفه الذي يرنّ بإلحاح شديد، وأخذ يسأل نفسه وهو ينظر إلى المذكرة التي في يده وهو يخاطبها كأنها شخص معه بالغرفة القابع بها ويقول:

– يا ترى ما السر وراءك يا أحمد؟ وإلى أين ذهبت واختفيت؟ يبدو أن تلك المذكرات تحمل الكثير والكثير من الأسرار التي أريد معرفتها.. ما بال تلك القضية في أول يوم لي ويحدث هذا فماذا بعد؟

يرن هاتف أكمل بإصرار شديد حتى رفع الهاتف ونظر إليه فإذ به يُفاجأ أنه من العميد فوزي مديره، فقال له:

– ما الأخبار اليوم؟

فصرخ أكمل في وجهه على غير العادة قائلًا:

– ما بالك سيدي؟ الموضوع ليس بسهل، الموضوع معقد للغاية، أرجو منك أن تتركني لحين أن أتي إليك وأسلمك التقرير.

أغلق أكمل الهاتف وأخذ نفسًا عميقًا ثم اعتدل في جلسته وفتح المذكرة من جديد، ولكن تملّك منه النوم.

***

(3)

اليوم 12/28..

هو يوم استلامي للعمل تعرفتُ إلى طاقم العمل معي بالمطار واستقللنا تلك الحافلة، وأخذنا بالحديث مع بعضنا البعض حتى رأيت ذلك السائق ذا الوجه الشاحب، فسلّمتُ عليه ومن هنا بدأ حديثنا فقلت له:

- مرحبًا بك، ما اسمك؟

فقال لي:

- أنا عمك سيد سائق المطار الجديد.

فقلت له:

- ألا تعلم ماهية ذلك المكان؟

فنظر لي نظرة لن أنساها طيلة حياتي، وقال لي:

- إن ذلك المطار للمغضوب عليهم، فسلّم أمرك لله، ولا تتحدث كثيرًا.

فنظرت له وأنا أقول:

- ما أتعسها سفرية!

وصلنا بعد عناء 18 ساعة من السفر حتى استقرت بنا الحافلة أمام أحد البيوت البدائية، وقال لنا عم سيد:

- حمد الله على السلامة قد وصلنا إلى استراحة المطار.

فنظرتُ لهم بحنق وغضب شديد حتى استهزأ بي أحد العاملين وقال لي:

- مرحبًا بك في شيراتون.

فضحك زملاؤه على سخافته، وهَمَّ كل منا بالذهاب إلى استراحته.

حين فتحت باب استراحتي لم أجد إلا أثاثًا مُتهالكًا، وتلفزيونًا قديمًا جار عليه الزمن، فهممتُ بالدخول فشممتُ رائحة غريبة كشيءٍ عطن لا أعلمُ مصدره، ذهبتُ إلى غرفة النوم، فوجدتُ كيسًا غريبًا الشكل فلم أهتم به إلا أن التقطتُه من الأرض وهممتُ بإخراجه إلى صندوق القمامة القابع أمام استراحتي..

آه من التعب وإرهاق السفر يومًا كاملًا للوصول إلى ذلك المكان الغريب.

***

استيقظتُ على جرس هاتفي فإذ هي زوجتي تطمئنُّ عليَّ وعلى سلامة وصولي، فطمأنتُها وأغلقتُ الهاتف سريعًا ثم ركضت كي ألحق بالحافلة الخاصة بالمطار، وهناك ذهبتُ إلى المطار.

هناك استقبلني ذلك العجوز البدين صاحب الخمسين عامًا الدكتور محب.

لم أكن أعلم أن ذلك البدين هو صاحب الأمر والنهي بذلك المكان فملامحه واضحة المعالم من الخبث واللزوجة، لم أسترح له منذ بداية لقائي به، ولكن لا بد من التعامل معه حتى يمر الوقت بسلام مع ذلك الرجل، فأنا لا أريد مشكلات أخرى مع مديري بالعمل.

أخذت أتجوَّل في المطار حتى نبهني زميلي المهندس الخاص بالاتصالات بأنه تلقّى جدول الأسبوع وبرنامج الرحلات القادمة إلى ذلك المطار، فذهبت معه، وأنا بداخلي شعور غريب أني أريد الهرب من ذلك المكان، نظر لي المهندس يوسف وقال لي:

– لما ذلك الحزن والوجوم الذي يعتلي وجهك؟

فقلت له:

- لا شيء، ولكني أبغضُ هذا المكان كثيرًا.

فنَظَرَ لي نظرة شفقةٍ، ثم قال لي:

- سوف تمر كما مر السابق يا صديقي.

فنظرتُ له ضاحكًا وقلت له الله أعلم.

***

صعدتُ إلى برج المراقبة الخاص بالمطار وهو برج معدني يوجد بداخله منضدة معدنية يوجد عليها جهازان لموجة الراديو الخاصة بالطائرات والمهبط (كنسل) وعدد 3 تليفونات خاصة بالخط الداخلي للمطار والأخرى للمكالمات الخارجية، بدأت في ترتيب أوراقي والاتصال بالمركز الرئيسي بالقاهرة لأُعلِمهم بوصولنا ولبدء تشغيل المطار، وفي أثناء مكالمتي أخذ جهاز الراديو الخاص بالطائرات بإصدار بعض الأصوات الخفيفة، وكأن هناك مَن فتح تلك الموجة من الطرف الآخر، ولكن لم أنتبه إليها كثيرًا حتى أحسست باهتزاز ذلك البرج الهوائي الذي أجلسُ به حتى تبين لي أنه الدكتور محب ففتحت له باب البرج وهم بالدخول.

نظر لي نظرة ثاقبة ثم هَمَّ بالحديث قائلًا:

- كابتن أحمد أم تحب أن أدعوك أحمد ونزيل ذلك التكليف البغيض فالألقاب.

نظرت له وقلت:

– أيًّا كان فابدأ حديثك، فلقد علمتُ أنك من أقدم الموجودين هنا و..

ثم قاطعني بحدة، وقال لي بنظرة جعلتني أتوجَّس خيفة منه:

– بل تستطيع القول إني أملك ذلك المكان فقد أفنيتُ عمري فيه وخسرت كل ما هو غالٍ في حياتي من أجل المحافظة على ذلك المكان فلا تنبش في الماضي، ومثل باقي زملائك فترة ثم ترحل.

ما بال ذلك المجنون يتعامل معي كأني مشترٍ أو لصٌّ جاء ليسرق ما لديه، وما يملكه هنا ولا يستطيع الاستغناء عنه حقًّا فالوحدة والعزلة تفعل أكثر من ذلك، نظرت له ثم قلت:

– دكتور محب، ما طبيعة عملك هنا؟

فنظر لي ضاحكًا وجسده البدين يهتزُّ من كثرة الضحك، ونظر لي ثم عدل نظارته الطبية:

– أنا طبيب يا كابتن، أنا الذي أريد أن أسألك سؤالًا لم أستطع أن أسأله لأيٍّ من زملائك الذين سبقوك في ذلك المكان،ما طبيعة عملك؟

المراقب الجوي هو من أكثر الوظائف دقةً وخطورة وهي المهنة الثالثة خطورة على مستوى العالم، فنظر لي دكتور محب وقال لي:

– وماذا بعد. ما ماهية وظيفتك غير أنك تتحدث مع الطائرات فقط؟

فنظرت له ضاحكًا ثم تابعت حديثي قائلًا:

– إن وظيفتنا هي تأمين الحركة الجوية وسلامتها في المجال الجوي المصري، فوظيفتي مراقب جوي ليست فقط في تحريك الطائرات أو صعودها أو هبوطها ولكن أيضًا في تأمينها وإرسالها إلى وجهتها.

ضحك قائلًا:

– حقًّا ولا يوجد سوى الكلام مع الطائرات وقائديها هاهاهاها.

نظرت له نظرة اشمئزاز ورددتُ بقولي:

– وإن الطبيب عمله ليس سوى كتابة روشتات للمرضي، وصرف الأدوية،

ثم تبعتها بضحكة ردًّا على ذلك الأبله.

***

انتهى يوم عملي الأول، وتم فصل مولدات الكهرباء عن برج المراقبة وهممتُ بإغلاق الباب بعد أن تأكدتُ أن كل شيء على ما يُرام.

صدر صوتٌ لفت انتباهي وهو تشويش وهمهمات غريبة، فظننتُ في البداية أني تركتُ الجهاز الراديو يعمل ولكني عندما هممتُ بالدخول صمتَ ذلك الصوت فعدتُ أدراجي لغلق الباب ثم هبطتُ تدريجيًا، ولكن بدء الشك يعرف طريقه إلى قلبي كعادتي عند الذهاب إلا أي مكان، صعدتُ مسرعًا للتأكد أني أغلقتُ كل شيء، وحدث الشيء نفسه مرة أخرى ولكن بصوت أعلى وأقوى.

ما هذا؟ ولماذا يعمل جهاز الراديو رغم إغلاقي له؟ تلك هي تهيؤات من تعب السفر ومشقته؟ نعم إنه من آثار السفر.

وظللتُ أُقنع نفسي بذلك حتى ذهبت إلى الحافلة التي سوف تقلنا إلى استراحتنا.

***

وصلت بنا الحافلة إلى مكان استراحتنا وهي قرية صغيرة تبعد عن المطار بحوالي 35 كيلومترًا، وهي قرية يقطن بها عمال ومهندسون تابعين لوزارة الزراعة وهي لا تتعدى أحد عشر بيتًا من ضمنها البيوت أو الاستراحات كما نطلق عليها وبأي حال من أحوال الأماكن الصغيرة، فالكل يعرف بعضه بعضًا.

نظرت إلى يوسف، وقلت له:

سوف أذهبُ للتجول وتفقُّد المكان.

فضحك يوسف وقال لي:

- إن القرية صغيرة ولا يوجد بها شيء مثير للاهتمام.

ولكني لم أبالِ لما يقوله، وقررت الذهاب ذهبتُ، وحين هممتُ بالذهاب سطع أذان المغرب معلنًا عن انتهاء اليوم في تلك القرية وعودة جميع القاطنين بها، حين شاهدتُ عودتهم شعرت بالحياة على سطح تلك البقعة من الأرض.

أخذت في التجوُّل ثم هممتُ بالدخول إلى أحد الشوارع الجانبية الضيقة، بيت أشبه بالبيوت الأثرية مكون من دور واحد ويحيطه سور حديدي مليء بالزخارف الغريبة التي طالما كنتُ أراها في صور بعض المجلات الأثرية التي كنتُ أقتنيها، ما ذلك الفضول الذي انتابني للدخول إلى ذلك المنزل القديم حين هممتُ بفتح الباب، فإذا برجل عجوز يصرخ بأعلى صوته فيَّ قائلًا:

- لا تدخل.

فوقفت متسمرًا في مكاني ناظرًا إليه، وفي مجموعة العمال الذين توقفوا لمشاهدة ماذا يحدث.

- من أنت حتى تصرخ فيَّ هكذا؟

تلك الكلمات خرجت مني دون سيطرة من شدة صدمتي لرد فعل ذلك الرجل.

فأقبل عليَّ قائلًا:

– من الواضح أنك جديد بذلك المكان أيها الشاب الأحمق.

فقلت له:

– لماذا صرخت فيَّ بتلك الطريقة الفجة؟

فنظر لي نظرة هزتني من داخلي، ولم يرد عليَّ حتى أمسك الباب الحديدي وأغلقه بقوة ثم ربط عليه سلسلة صدئة ثم ذهب.

صعدتُ إلى استراحتي بعد صدمة من رد فعل ذلك العجوز فدخلتُ إلى غرفتي أستبدلُ ملابسي، خلدتُ إلى النوم حتى أستيقظ صباحًا، ثم أغمضتُ عيني، استيقظتُ فجأة وأنا متصبِّب عرقًا أخذت في التفكير في ذلك الصوت، إنه صوت استغاثة صادر من إحدى الطائرات:

– أين أنا؟ وكم الساعة الآن؟ إنها الثالثة صباحًا، تبًّا! لن أستطيع النوم اليوم فأنا من أنصار النوم الخفيف.

***

(4)

في مكتب الرائد سعيد يجلس المقدم أكمل وفي يديه المذكرة الأولى للمراقب المختفي وهو يُغلقها ويصيح في العسكري مصيلحي ذلك الأبله الذي عاصر كل الأحداث في ذلك المكان، فهرولَ إليه العسكري مصيلحي وهو يؤدي إليه التحية، ثم قال له:

- أفندم أكمل بيك.

نظر له أكمل باشمئزاز، وقال له:

- قل لي يا مصيلحي ما تعرفه عن حادث مقتل الدكتور محب، وما تعرفه عن ذلك المراقب الجوي.

نظر له مصيلحي بخوفٍ وقال له:

- سيدي أرجو أن تعفيني من السؤال فسعيد بيك قد مَنَعَ الكلام في ذلك الأمر، ولن أستطيع الكلام فيه إلا بإذنه.

فغضب أكمل بشدّه، وهمَّ بصفعه إلأ أن الرائد سعيد تدخَّل وأمسك بيد أكمل وقال له:

– أكمل بيك، ماذا تفعل؟

فنظر له أكمل غاضبًا ثم انصرف إلى الخارج، وأشعل سيجارته بغضبٍ وحنق شديد.

خرج سعيد إلى أكمل وقال له:

– يا أكمل بيك ذلك العسكري لا ينفذ إلا الأوامر، فكيف لك أن تأتِ على شخص مثله ينفذ ما نقوله؟

فنظر له أكمل قائلًا:

– يا سعيد بيك الموضوع يزداد تعقيدًا، ما علاقة ذلك المختفي بحادث حريق المطار ومقتل الدكتور محب؟ وما سر ذلك المترل؟ ألا ترى أنه لأمر غريب أن تحدث تلك الأحداث في فترة وجيزة لا تتعدى الشهر

نظر سعيد متصنعًا الابتسامة، وقال له:

– لا تتعجل فسوف نعرف حقيقة الأمر.

نادى سعيد العسكري مصيلحي وقال له:

– قُصَّ على أكمل بيه كل ما يريده منك.

فأدى العسكري له التحية، ثم قال للمقدم أكمل:

- سوف أقول كل ما أعرفه بداية من أول يوم شاهدت فيه ذلك المراقب ومشادته مع حارس البيت الملعون الذي يخاف أهل القرية أو بمعنى أصح العاملون بذلك المكان الاقتراب منه، فنظر له أكمل ثم قال:

- إذًا فلندخل المكتب، ولتقص عليَّ كل شيء بالتفصيل الممل، هيا يا مصيلحي، قل لي ما تعرفه.

قالها أكمل وهو يشعل سيجارته، نظر له مصيلحي قائلًا:

- في يوم كنتُ عائدًا أنا وزملائي للقرية حتى نعطى التمام في النقطة الرئيسية لنا ولنأخذ تعيننا من الطعام، فسمعنا صوت مشاجرة فذهبنا لتفقُّد الوضع، فإذ بنا نرى ذلك الشخص الجديد يتشاجر مع حارس المنزل المهجور واشتد شجارهما حتى همَّ ذلك الشخص بالذهاب بعيدًا،ثم بعدها بنحو عشر دقائق أتى دكتور الوحدة الصحية الدكتور محب ووقف مع حارس البيت بجانب السور ثم ذهب.

- إذًا ماذا كان يفعل ذلك الدكتور مع حارس البيت؟ وأين يقع ذلك البيت؟

قالها أكمل وهو يشعل سيجارة أخرى، فبادره مصيلحي بقول:

- لا أعلم ولكن يقع البيت في الجهة الشرقية للقرية، ولا يجرؤ أحد على الاقتراب من.

فعاجله، أكمل وقال:

- ولِمَ لا تجرؤوا على الاقتراب منه.

فصمت مصيلحي ثم قال:

- سيدي أنا أقصُّ عليك ما أعرفه فقط.

أخذ مصيلحي نفسًا عميقًا ثم قال:

- بعد فترة بدأ ذلك الشخص الجديد في الشجار مع دكتور محب، حتى في يوم حين كنت في نوبة حراستي رأيته يمسك الدكتور محب من قميصه ويقول له:

- أنت شخص مُريب، وسوف أعلمُ ما السِّر الذي تخفيه أو أقتلك.

فنظر له الدكتور ببرود وقال له:

- أريني ما لديك.

ثم بعدها جاءتنا إشارة بجريمة قتل في منزل ذلك الدكتور الموجود بالوحدة الصحية، وحين دخلت وراء سعيد بيك رأيت الدكتور محب مسلسلًا ومشطورًا نصفين بطريقة لم أرَها إلا في الأفلام الأجنبية، ثم

رأيت أشياء غريبة مرسومة على الحائط كالنقوش الفرعونية الموجودة بالمعابد في مدينتي الأقصر، ولكن لن أنسى نظرة الهلع والخوف على دكتور محب وهو مشطور نصفين ومسلسل بطريقة غريبة وحرفية شديدة، ثم صورها ضابط جديد لم أعلم اسمه ثم طلب نقله في اليوم الثاني وغادر.

نظر له أكمل بحدة وقال له:

- وماذا عن حادث الاختفاء؟

فقال له:

- لا أعلم غير أن إشارة جاءت للمقدم سعيد تفيد بأن القاهرة تبلغ عن اختفاء المراقب الجوي، وكان كما تعلم حضرتك لا بد أن يمر 48 ساعة على الاختفاء، ثم بعد ذلك حريق أرض المطار الذي كان كنار جهنم، ولم تخمد إلا في الليلة السادسة لها.

زَفَرَ أكمل غضبًا من عدم اكتمال المعلومات الخاصة بتلك القضية ولم ينتبه إلى دخول سعيد له، وبادر بقول إنه يجب تسليم جميع المتعلقات الخاصة بالمراقب الجوي للقاهرة.

فنظر له أكمل وقال له:

- إنه لن يسلم أيًا من متعلقات ذلك المراقب حتى يفحصها هو بنفسه.

فنهض سعيد من مجلسه وقال له:

- يا أكمل ما تفعله بدون جدوى،فأرجو منك أن تفعل ما نأمر حتى ننتهي من تلك القضية التي ليس لها أي معالم، ولا يوجد بها أي ترابط سوى أحداث بسيطة لن تقودنا إلى شيء.

هَمَّ أكمل بالوقوف ثم الانصراف إلى تلك القرية وفي يديه مذكرات المراقب الجوي،وقال لسعيد إنه ذاهب إلى هناك حتى يتحقق من بعض الأمور، فنظر له سعيد متعجبًا فقال له:

- افعل ما يحلو لك، فلن تجد أي شيء.

فنظر له أكمل نظرة شكٍّ، وقال له:

- ولِمَ ذلك اليقين؟ أتعلمُ شيئًا لا أعلمه أنا؟

فضحك سعيد ساخرًا ثم قال:

- أنا أعلم بالمكان وأهله، لن يُجدي بحثك شيئًا.

نظر له أكمل نظرة حانقة ثم انصرف بغضب.

***

(5)

تمر الأيام ببطء شديد حتى أصبحت في حالة ضجر غير عادية رغم أنه اليوم الخامس لي، ولكن أشعر كأنها خمس سنوات..

في صباح اليوم السادس وبعد أذان الفجر رنَّ جرس هاتفي يخبرونني بالقدوم فورًا إلى المطار، فهممتُ بارتداء ملابسي، واستقللتُ تلك الحافلة المزعجة بأفرادها المملين، حين نظر لي أحدهم وقالي لي:

- يا كابتن، اليوم سوف يكون مزدحمًا بتلك الطائرات العسكرية على ما أعتقد بأن قدومنا هنا سوف ينعش ذلك المكان.

فنظرتُ له متصنعًا ابتسامة سخيفة كتلك التي أتصنعها للأشخاص الذين لا أتقبلهم وقلت له:

- أظن ذلك.

ثم هممتُ بالنظر إلى الطريق حتى وصلنا إلى أرض المطار فرأيتُ المهندس يوسف، وهو يبتسم لي ويقول:

أغفلتَ عن مواعيد الرحلات؟ فنظرتُ له وأنا أتثاءب قائلًا له:

– من الواضح أن الأسبوع كله مليء بالأعمال.

فنظر لي يوسف ضاحكًا وقال لي:

– اذهب حتى تتسلّم مواعيد طيران اليوم.

صعدتُ إلى برج المراقبة حتى سمعتُ رنين الهاتف فالتقطتُ السماعة وأخذت في كتابة مواعيد الرحلات وبرامجها اليوم،ثم أشعلتُ سيجارة في انسجام شديد بدلًا من ذلك الملل الذي يسيطر عليَّ في ذلك المكان حتى رأيتُ ذلك المُختلّ وهو يصعد درجات السُّلم فيحدث اهتزازٌ شديدٌ تشعرُ كأنه زلزال 1992 ذلك الذي ضرب البلاد ثم همَّ بإلقاء التحية وحينها بدء في إلقاء نكاته السخيفة والمقززة في بعض الأوقات بل في أغلبها حتى صعد العسكري المنوب له حراسة البرج ونظر بارتياب إلى الدكتور محب وكأنه نظر إلى مسخ بغيض الشكل، فلم أستطع منع ضحكاتي.

برج المراقبة، برج المراقبة الطائرة 1126 بتصريح هبوط من مراقبة منطقه القاهرة على بُعد 90 ميلًا من المطار حالة الطقس والإذن بالهبوط، فهممتُ مسرعًا بالتقاط الجهاز واعطيته حالة الطقس والإذن بالهبوط من ارتفاعه، وتبليغي على مسافة 25 ميلًا من دائرة المطار،نظرت بجانبي فلم أجد ذلك البغيض محب، فأكلمتُ عملي حتى هبطت الطائرة.

حين هبطت الطائرة وفي أثناء مشاهدتي لها وهي تُبطئ سرعتها على الممر رأيت ما جعلني أتوقّف مُتسمِّرًا في مكاني خيال شخص وراء الطائرة وهو يُشير إلى الاتجاه الآخر من الممر المقابل لبرج المراقبة ففزعت وأمسكت بالمنظار إذ أرى عسكري ملابسه ملطخة بالدماء وهو يشير إلى الطرف الآخر حتى هممتُ بالصراخ في ذلك العسكري المنوب وسألته أترى ما أراه هناك فنظر لي ببلاهةٍ شديدة وقالي لي:

- يا كابتن، لا أرى أي شيء.

فسكت برهة ثم تابعت عملي حتى إقلاع الطائرة ولا يوجد في مخيلتي سوى تلك الصورة.

بعد يوم شاق من العمل عدتُ إلى الاستراحة الخاصة بنا حتى تلقيتُ اتصالًا غيَّر مسار باقي يومي إلا الأحسن رغم أن تلك الصورة اللعينة ما زال عالقة في ذهني اتصالًا من زوجتي الحبيبة وابني حتى سألتني عن أحوالي، حتى شرحت لها ما دار في تلك الأيام وتلك الأصوات والجندي الملطخ بالدماء حتى سكتت برهة ثم قالت:

- أظنُّ ذلك من عناء السفر أو لعدم رغبتك في ذلك المكان،

ثم سلّمت عليَّ وأغلقت الخط.

أرحتُ جسمي المُنهك على السرير، ولكن صورة ذلك الجندي ما زالت عالقة، هيئته الملطخة بالدماء، إشارته لي إلى الجانب الآخر من

الممر،لا بل هي هيؤات جراء حرارة الجو وعملي منذ طلوع الشمس، ولكن رأيته كوضح النهار فلماذا أقنع نفسي بأن ما رأيته غير حقيقي؟ صداع في رأسي لا أقوى على التفكير، سوف أنام الآن وأُريح عقلي وغدًا لناظره لقريب.

إشارات استغاثة من قائد الطائرة صوت صريخ الركاب من كل اتجاه، أستيقظُ مفزوعًا أتصبَّب عرقًا غير طبيعي، ألهثُ كمن جري مسافة كبيرة هربًا من شيء، صورة الجندي لا تُفارقني، لا أعلمُ ما هذا، ولكن ما أعلمه أني مُقبل على شيء كارثي لن أقوى عليه.

***

أذان الفجر يطلق أصواته من ذلك المسجد العتيق القابع أعلى القرية وصوت ذلك المؤذن العجوز أقدم من عاشوا بذلك المكان، توضأتُ ثم هممت بالنزول من ذلك الطريق الخلفي للاستراحة ولا أعلمُ أنه يقودني إلى بداية الطريق إلى المنزل المهجور، حيثُ لمحتُ ذلك البدين الدكتور محب يخرج من المنزل وهو يتلفت إليى جانبيه حتى ظهر ذلك الحارس، فأخذا يتمتمان ببعض الكلام لم أسمع سوى أنه تحذير شديد اللهجة، وكان واضحًا على قسمات وجه محب.

نعم أعلمُ أن ذلك البغيض وراءه سرٌ خطير، فلماذا شخص مثله يجلس كل تلك المدة في ذلك المكان ولا يوجد به أي ميزة عن باقي الأماكن الأخرى؟ وبينما أنا أفكر وأسرحُ فيما يجيء في مخيلتي، ينتبه لي ذلك الحارس غريب الأطوار فأذهب مُسرعًا حتى لا يلحق بي.

ذهبتُ إلى المسجد وأنا كالمجذوب أتلفّتُ خشية من لحاق ذلك الحارس بي، نظر إليّ عم مصطفى المؤذن العجوز، وقال لي:

- لا تنبش يا بني في ذلك البيت، ولا تتدخل فيما لا يعنيك، فلن تجني سوى المشكلات.

فنظرت له بارتياب، فقال لي مستطردًا حديثه مبتسمًا:

- هيا إلى الصلاة.

بعد ان أنهينا الصلاة نظر لي ذلك العجوز وقال لي:

- نعم، أعلم ما يدور بخلدك، ولكن يا بني لا تنبش في ماضي مكانٍ ليس لك به علم، فأنا أعلم بذلك المكان منك، فانظر إلى شيبتي وسني وسوف تعلم ما أريد أن أقوله.

قلت له:

- يا شيخنا، كيف عرفت ما أريد أن أقوله؟ وأيضًا يوجد الكثير من الأمور التي أرتاب فيها ولا أجد لها أي إجابة.

فقال لي:

- ما قصدك من الكلام هذا؟ أتقصد ذلك المجنون محب، وحارس منزله؟

فقلتُ له:

- لا أعلم.

عدتُ إلى استراحتي، وأنا أفكر في كل ما يحدث لي، أصوات استغاثة، ثم ذلك الجندي المجهول صاحب القميص الملطخ بالدماء، ثم المنزل المهجور وصاحبه محب وحارسه..

تبًّا لقد شتت عقلي، وكطبيعتي الفضولية القاتلة لن يهدأ لي بال حتى أعرف حقيقة ذلك المكان، ولماذا يُصرُّ الدكتور محب على الجلوس به؟

***

(6)

على الجانب الآخر يجلس ذلك العجوز البدين صاحب الخمسين ربيعًا في مقر استراحته الملحق بالوحدة الصحية للمطار وهو يطالع بعضًا من الأوراق القديمة، ويوجد بها طلاسم، فأخذ في تلاوتها لأكثر من مرة حتى خيَّم الظلام على المكان بالكامل كأنه الليل دون قمر أو نجوم ليل كاحل يُضفي على ذلك المكان كآبة..

اهتزت أركان الاستراحة فاعتدل محب في جلسته ثم قال:

- ألم يقترب الوقت حتى آخذ ما لي لديكم؟ لقد أتممتُ كل ما تطلبونه مني منذ أن آخذ العهد عليَّ من ثلاثين عام مضت في ذلك المكان لقد مللتُ الانتظار.

تحدث صوت غليظ تحمل نغماته بشاعة صاحب الصوت وعلا صوته بقوله:

- لقد اقتربُ الموعد يا محب، ولكن احذر بأن تقوم بالتلاعب بنا كسابق عهدك أيها الحقير، فنحن أبناء المرصد وحراس قبر الحبشي لن نغفر لك.

ثم أتى النور من جديد وانقشع الظلام فجفّف محب عرقه ثم نظر إلى تلك الرسمة المعهودة على حائط الغرفة ثم قال:

- لن يضيع عمري هباء في ذلك المكان، أنا الدكتور محب خريج طب الإسكندرية والأول على دفعتي على مدار أعوام دراستي، ولكن الفارق الطبقي جعلني أنا ابن حارس العقار في ذلك المكان ولا آخذ مكاني الطبيعي في الكلية معيدًا أو على الأقل يتم تكليفي في أرقى الأماكن الصحية وليس في ذلك المكان الذي طالما كرهته من كل قلبي أكثر من أي شيء حتى عثرت على قبر الحبشي والصندوق الخشبي الموجود بجانب القبر.

نعم أعلم خبايا ذلك المكان جيدًا، بل أدرى من أي أحد بذلك المكان من غيري من ذلك العجوز مؤذن المسجد تستطيع القول بأني امتلكت ذلك المكان بكل من فيه، فأصبحت على دراية كاملة بكل ما فيه حتى الأشخاص العابرين، نعم أملكه ولن تستطيع أي قوة أن تأخذه مني، فبعد أن أخذت من أبناء المرصد العهد وأخذوه مني فلا تستطيع أي قوة في الكون أن تتحداني حتى يأتي اليوم الموعود يوم تكون القوة والمال ملكي.

كل مَنْ تحدَّاني خَسِرَ ذلك التَّحدي واختفى من الوجود، لم يَستطِعْ أحدٌ مُقاومتي، فلأبناء المرصد القوة المهيمنة، فهم من أقوى القبائل لحراسةِ القبور منذ العهد القديم، ولكن ما لا أعلمُه لِمَ كان عليَّ الانتظار كل تلك المدة؟ عمري كلُّه أفنيتُه في ذلك المكان المشؤوم، لم يكن لي صديقٌ أو زوجة أو أبناء كباقي خَلْقِ الله، ولكن ما كان يُصبِّرني على ما أنا فيه.

أتذكَّر تلك الليلة حين كنتُ أجدِّد العهد مع أبناء المرصد وجاء ذلك الغبي مجاهد عسكري الوحدة المركزية بالمنطقة التابعة للجيش يسألني عن أي شيءٍ لأعراض البرد القارس، فلا أتذكَّر سوى أنه تم حمله بواسطة شخصين طولهما يتعدى المترين، وجهاهما غير ظاهري المعالم، يحملان جثة ذلك المسكين إلى الجانب الآخر من الممر بالقرب من الثلاث نخلات القابع تحتها قبر الحبشي، أتذكَّر منظره جيدًا، كانت به الروح حين ألقوهُ في تلك الحفرة السحيقة وأهالوا عليه التُّراب.

حين علمتُ أنه تم فتح ذلك المطار مرة أخرى انتابتني حالة من الهياج الشديد، وقررتُ أن أستعمل عهدي مع أبناء المرصد في غلق ذلك المطار ومنذ ذلك اليوم أصبح يوم 13 من كل شهر هو اليوم المشؤوم على ذلك المكان.

***

أفاقَ الدكتور محب على صوت طرقات عالية على باب حجرة الاستراحة الخاص به، ثم فَتَحَ الباب فوجد مجموعة من موظفي المطار يحملون زميلهم وهو يترف بشدة من يده نتيجة لقطع بآلة حادة، فأدخلهم محب إلى الغرفة، ثم بدأ في عمل اللازم، وهو يبتسم ابتسامته السمجة.

***

(7)

في اليوم الثامن حيث استيقظت الساعة الرابعة صباحًا على صوت الهاتف،فاعتدلتُ في جلستي ونظرتُ إلى الشاشة بنصف عين مفتوحة، فرأيتُ رقم مدير المطار فتعجبتُ ثم أجبتُ على عجلٍ، فمنذ مجيئي إلى ذلك المكان لم أرَه فقلت له:

- تفضّل سيدي بما أستطيع خدمتك.

فأجابني على عجل قائلًا:

- كابتن أحمد سوف تأتيك سيارة خاصه الآن لتُقلّك إلى المطار.

فسألته عن السبب، فقال لي:

- ليس هناك سبب غير مجيء طائرة إمداد تابعة لإحدى المؤسسات العسكرية قادمة من القاهرة وعلى متنها قيادات مهمة مع معدات ثقيلة خاصة بالجيش.

ثم أغلق الهاتف.

بعد أن ارتديتُ ملابسي مسرعًا حتى لا أتأخر وجدت سيارة غريبة الشكل لم أعهدها منذ قدومي إلى ذلك المكان سوى في مُخلّفات الجراج الخاص بالمطار، فركبتُ السيارة وأنا في حالة تعجُّب فهذا ليس سائق الحافلة، ولا يوجد أي أحد من الموظفين، وأخذت الأسئلة تدور في ذهني حتى سألت السائق:

- هل موظفو المطار سبقونا إلى هناك.

فلم يُجبني، بل لم يتلفت إليّ حتى وصلنا، ومن المفترض أن تقوم بإيصالي إلى برج المراقبة، ولكنها أنزلتني عند باب الوحدة الصحية الخاصة بالمطار، ثم غادر فتتبعته بنظري، فإذا فجأة تختفي السيارة وسط سحابة من الغبار الرملي.

تعجبت مما أرى، ولكني لم أُعر ذلك اهتمامًا على قدر ما انتبهتُ إلى محب ورائي يربت على كتفي وعلى وجهه ابتسامته السخيفة، وهو يقول لي:

- أتيتَ مبكرًا، هل يوجد تحركات اليوم؟

فقلتُ له:

- اتَّصل بي مدير المطار،وقال لي هناك تحرك مهمٌّ لطائرة عسكرية.

فنظر لي مبتسمًا ابتسامة غير مريحة، وقال:

- مدير المطار؟ لا يوجد هنا مديرون يا ولدي، آسف، أقصد يا كابتن.

نظرت له وقلتُ:

- لقد اتَّصل بي، وهذا هو رقمه، وأخرجتُ هاتفي ونظرتُ له ثم أخرجتُ سجل المكالمات، ولكني لم أجد رقم المدير، فلم أجد إلا رقم منزلي منذ ثلاثة أيام..

ساد الصمت لمدة 5 دقائق، ثم انصرفتُ دون أن أتحدث. ذهبتُ إلى غرفة اللاسلكي، فرأيتُ يوسف ينظر إليَّ باستغراب ويقول لي ما أتى بك في تلك الساعة المبكرة الساعة الآن 5.00 صباحًا، فقصصتُ عليه ما حدث، فنظر لي في ارتياب شديد وقال لي:

- باقي من الوقت أقل من أسبوع، استرح يا صديقي، فلا توجد أي تحركات اليوم،وأنت في ضغط عصبي شديد منذ أن جئتَ إلى هنا.

فابتسمت في وهنٍ ثم ذهبتُ إلى البرج.

***

ما زال الوقت مبكرًا على شروق الشمس باقي من الزمن نصف ساعة، بداية شروق الشمس خيوط بسيطة من النور تتسلل إلى تلك السماء المظلمة الخالية من أي شيء كأنك ميت في قبر سماوي.. نظرتُ إلى تلك السماء وأنا أُشعل سيجارتي الصباحية حتى سمعت صوتًا غريبًا كالذي يصدره الجسم زاحفًا على الأرض فلم أنتبه في المرة الأولى وأخذت طريقي في السير بصورة بطيئة حتى تعثرت في حجر بالطريق لم أعهده من قبل، فنهضتُ وأنا أنظف نفسي من التراب حتى رأيتُ ما أذهلني ودبَّ الرعب في قلبي.

أخذت في النظر إلى تلك البقعة السوداء القادمة بسرعة غريبة فحاولتُ أن أتبين ما هي، حتى وجدتُ أنها بُقعة من العقارب السوداء منظمة بشكل غريب حين تبينتها، أخذت في الركض على طول الممر الموصل إلى سُلم برج المراقبة المعدني، وحين نظرتُ خلفي فلم أجدها فجلستُ على السلم المعدني لالتقاط أنفاسي ومحاولة استيعاب الموقف بالكامل فلم تكن قدماي تقويان على الحراك.

فتحت باب البرج ودلفت إلى الداخل وأنا في مخيلتي ذلك المنظر الغريب، ولكن ما هذا؟ كيف تختفي وقد كانت على بضع خطوات مني؟ أكاد أُجنُّ مما أنا فيه، لا أستطيع ربط كل ما يحدث لي.

جلستُ وقد أشعلتُ سيجارتي وسرحتُ فيما أنا فيه، حتى وجدته مرة أخرى ذلك الجندي صاحب القميص الملطخ بالدماء وهو بمنتصف الممر يُشير إلى الطرف الآخر من الممر، ولكن إشارته كانت غير واضحة على ماذا يشير، هممتُ بالنزول سريعًا من البرج حتى اختفى.

– يوسف، أرجوك تعالَ إلى هنا، أريد أن أتكلّم معك للضرورة القصوى.

قلتُها وأنا أُشعل سيجارتي بعصبيةٍ شديدة، صعد يوسف إليّ في عجالة وهو يقول لي:

– ما بك يا مزعج تأتي في الفجر وتجعلني أستيقظ، وأنا ما نمت إلا ساعتين فقط، ما بك؟ قل لي وصارحني وكيف أتيت إلى هنا وأغلب الموظفين لم يأتوا ولا توجد سوى حافلة واحدة لتُقلّكم غير أن مواعيد العمل الرسمية باقي عليها ساعة واحدة.

قلتُ له:

– لا أعلمُ، تحدّثُ معي أشياء عجيبة وأحلام مزعجة، وأخذت في القصِّ عليه ما حدث على مدار الثلاثة أيام الماضية.

نَظَرَ لي يوسف بعد أن أنهيت حديثي قائلًا:

– أحمد من الواضح أنك تحت ضغط نفسي وعصبي شديد، فأصبحت بعض الأمور تتهيأ لك، أرجو منك أن تتحلى بالصبر والهدوء لحين أن يأتي بديلك.

فنظرت له ثم نظرت إلى الممر وقلت له:

– ولكني على يقين تامٍّ بأنّ هناك سِرًّا في ذلك المكان، وفي ذلك الرجل غريب الأطوار.

فنظر لي يوسف ثم قال:

– مَن ذلك الشخص المقصود؟

فقلت له بنظرةٍ حادة:

– الدكتور محب من أقدم المعمرين في ذلك المكان، وامتلاكه لذلك المنزل القديم وبصراحة شديدة وجوده هنا مريب.

فقال لي:

– أحمد اهدأ ولا تحكم على أحد من خلال استنتاجات خاطئة لا تدري عواقبها في المستقبل، فأرجو منك أن تتحلى بالصبر، وأنا معك في أي وقت تحتاجني به.

***

يمر الوقت ببطء شديد كأنه مربوط بسلاسل حديدية، لم أتحرك خطوة واحدة على مدار 3 ساعات، الساعة قاربت من العاشرة صباحًا، لم أنتبه لعدم مجيء موظفي المطار، ولكن ما انتبهتُ إليه بداية التشويش على موجة الراديو الخاص بالبرج، لم أنتبه إلى أن جهاز الراديو مغلق، ولكن لما زاد التشويش ألقيتُ ناظريَّ على الجهاز فوجدته مغلقًا، على الفور قمتُ بالاتصال بيوسف، ثم قلتُ له إن هناك تشويشًا على موجة الراديو والجهاز مغلق فلم يُعِرني انتباهًا وأغلق الهاتف، ثم نظرتُ مرة أخرى إلى الجهاز وأدرته في وضعية التشغيل.

انقضت ساعة تلو الأخرى وانتهى دوامي فأغلقتُ باب البرج ولكن شيئًا ما استوقفني حتى دخلت مرة أخرى البرج حتى وجدت موجة الراديو مرة أخرى يعمل بمفرده، ولكن هذه المرة بنداء استغاثة من طائرة باسم CA102 تطلق إشارات استغاثة تُفيد بتعطُّل محركاتها فمن هول الصدمة أطلقت سارينة الإنذار بكل المطار حتى انتبهت تلك الوحدة العسكرية القابعة على بُعد 15 ميلًا من أرض المطار وبدأت في محاكاة الطائرة، ولكنها لا تجيب، أخذت في تكرار المحاولة أكثر من مرة حتى انتبهَ لي يوسف وهاتفني على هاتف البرج ثم قال أحمد: ما بك؟ لِمَ كل هذه الجلبة؟

يوسف، ألم تسمع نداء الاستغاثة؟ لقد أطلقت طائرة CA102 إشارات عنيفة تُفيد بعُطل في المحرك ولا تستجيب لندائي، لا يوجد أي شيء يا أحمد أنا حاليًّا في غرفة اللاسلكي والتسجيلات فلا يوجد ما تقول،لقد أفزعتني بتلك السرينة والدكتور محب بجانبي الآن انزعج مما حدث، أخبرني ما بك يا صديقي، أجبني، فلم أُجِبْهُ حتى قلتُ له:

– أنا قادم إليك الآن، فلا تتعجل.

أغلقت باب البرج، ثم هممت بالنزول حتى رن هاتفي نظرت إليه ثم استقبلت المكالمة فكان بديلي محمود، فألقى عليَّ التحية ثم سألني عن حالي وحال المطار، فلم أُجِبْهُ حتى مضت دقيقتان، فقلت له:

– إني مُتعب نفسيًّا، وعصبيًّا من ذلك المكان، فهناك أشياء غريبة تحدث لا أعلم ما هي، ولكن ما أستشعره أن هذا المكان ملعون بمن فيه، وأنا اليوم لم أرَ أيًّا من طاقم العمل بالمطار.

فقال لي:

– يمكن أن يكونوا موجودين.

فقلت له:

– سوف أرى الآن.

فقال لي:

– لا تقلق، سوف آتي إليك في ميعادنا المتفق عليه.

فشكرتُه ثم أغلقتُ الهاتف.

- يوسف، أين أنت؟

أخذت في الصياح حتى خرج يوسف من باب مكتبه حتى ضحك ثم قال:

- ما بكَ أيها المجنون؟ الباب مفتوح وليس موصدًا.

فنظر لي الدكتور محب وقال لي مازحًا:

ألم تأكل طعام إفطارك بعد.

فنظرت له باستهتار، فقابلها هو بابتسامة خبيثة لم أعهدها من قبل، فدلفت إلى الغرفة ثم نظرتُ إلى يوسف وقلتُ له:

- أرجو أن تُعيد التسجيل على مدار اليوم كله.

فتعجَّب يوسف وقال لي:

- لماذا؟

فصحت به، وقلت له:

- أعد التسجيل.

فنظر لي ثم قال:

- حسنًا حسنًا، لا داعي للصوت العالي.

فأعاد التسجيل مرة أخرى فقال لي محب:

- لا يوجد أي شيء يا كابتن، إنها مجرد تهيؤات.

فنظرت له في غضب، وقلت له:

- من أنت حتى تتكلم معي أو تتدخل في عملي، اذهب من الغرفة الآن.

فنظر محب لي بابتسامة استهتار وقال لي:

- أشكرك على حسن ضيافتك. بالحق يا كابتن أرجو أن تبلغ إدارتك أن طاقم العمل قد غادروا بزميلهم إلى القاهرة صباح باكر فالمطار مغلق لحين وجود طاقم التشغيل بالكامل.

- يوسف، ماذا يحدث هنا؟

قلتها، وأنا في قمة توتري، فقال لي:

- لا أعلم.

أمسكت الهاتف، ثم قلت له:

- سوف أبلغ القاهرة.

فقال لي:

- خطوط الهاتف معطلة وسوف أقوم بإصلاحها.

***

(8)

أخذ أكمل نفسًا عميقًا ثم أغلق المذكرة ونظر إلى الرائد سعيد وقال له القضية:

- ليست سهلة كما كنتُ أتوقّع، يوجد الكثير من التعقيدات يا سعيد، انظر معي إلى تلك الأوراق ألا تُذكرك بالبرديات التي توجد بالمتحف المصري.

فضحك سعيد وقال:

- أو بازارات الهرم وما حولها.

فضحك أكمل على مضض ثم استرد قائلًا:

- جديًا أُفكر بالاستعانة بخبير الآثار أحمد ناصر للبتِّ في أمر تلك الأوراق.

ثم أمسك الهاتف يبحث به عن رقم خبير الآثار أحمد ناصر.

أكمل:

– كيف حالك أحمد بك؟

فرد عليه أحمد قائلًا:

– بخير أكمل بك، في نعمة والحمد الله.

قال له:

– أسمعت عن حريق المطار؟

قال أحمد:

– نعم سمعت ما حدث، ولكن، ليس هذا المطار على الحدود الدولية من الجنوب.

قال أكمل:

– نعم، ولكن ما يثير جنوني اختفاء ذلك الشخص المراقب الجوي.

فاسترد أحمد قائلًا:

– وما العجيب في ذلك؟ أتشكُّ يا أكمل بك أنه الجاني؟

قال أكمل:

- ليس هذا موضوعنا بل أريدك لأمر أشد أهمية وخطورة.

قال أحمد:

- وما هو يا ترى؟ لا أطمئنُّ لمكالماتك.

فضحك أكمل ثم قال:

- لقد وجدنا في موقع الحادث خمس ورقات قديمة متهالكة، ولكنها ليست كباقي الأوراق.

قال له أحمد:

- كيف ليست كباقي الأوراق؟ أرجو منك التوضيح.

قال أكمل:

- بعد أن هدأ الحريق وجدنا بجانب البرج شنطة بها خمس مذكرات وعدد 5 ورقات قديمة كالبردي، ولا أفهم خطَّها أو ما يدل على هوية تلك الأوراق.

قال أحمد باهتمام:

- إذًا أرسل لي صورها الآن حتى أراها.

قال له أكمل:

- إذًا سوف أقوم بتصويرها وإرسالها إليك.

قال أحمد:

– وأنا في الانتظار.

أغلق أكمل الهاتف ثم نظر إلى سعيد قائلًا:

– في حالة فكِّ أحمد اللغز سوف يحل ذلك الكثير لنا.

فنظر له سعيد قائلًا:

– كيف يا أكمل بيك منذ برهة قصيرة، تحدثت بأن الموضوع صعب المنال وسوف يأخذ وقتًا كبيرًا.

فنظر أكمل،وقال له:

– لقد ذكرَ الجاني ثلاثة أماكن أريد أن أزورها بعد أن نأكل لأني أشعر بالجوع ثم ننال قسطًا من الراحة.

فنظر له سعيد ضاحكًا وقال له:

– مرحبًا أكمل بك.

فنظر أكمل ثم ضحك.

ذهب أكمل إلى غرفة نومه التي خصَّصها له سعيد ثم هَمَّ بالجلوس على حرف السرير، وهو يتأمل تلك المذكرة، ثم يريح جسمه على السرير في محاولة جديدة للنوم، ولكنه يشرد بنظره إلى سقف الغرفة ساعة كاملة.. حتى قام فجأة من سريره وركض باتجاه غرفة سعيد ثم

طرق الباب بطريقة هستيرية حتى فزع سعيد وفتح الباب بسرعة شديدة، وقال له أكمل:

- ارتدِ ملابسك وتعالَ معي.

فقال سعيد مفزوعا:

- أكمل بيك ما بك؟

قال له:

- في الطريق سوف تعرف.

ركب أكمل وسعيد سيارة الشرطة التابعة للنقطة ونظر سعيد إلى أكمل وقال له:

- قل لي ماذا تريد؟

قال له:

- أريد أن أرى ذلك المترل المهجور الذي كتب عنه أحمد، أتعرف مكانه؟

قال له سعيد:

- نعم أعرفه، ولكن ما علاقة ذلك بالقضية.

فنظر له أكمل باستغراب، وقال:

- قُدنا إلى ذلك المترل.

فنظر إليه سعيد ثم قاد السيارة إلى القرية القابع بها استراحة موظفي المطار، وذلك المترل المذكور.

***.

وصلنا إلى القرية المذكورة وحين توقفت السيارة كانت الساعة تدق الثامنة مساء، وكأن القرية خلت من أهلها لا يوجد سوى بعض الأفراد الذين يحرسون تلك المنشآت البسيطة أو أصحاب المحلات، ذهبنا إلى طريق خالٍ وفي آخره مترل، فنظرتُ إلى سعيد وقلتُ له:

– أهو ذلك المترل المنشود؟

فنظر لي في تعجُّب وقال لي:

– ما أدراني يا أكمل بذلك المترل الوحيد المهجور، وهذا هو الشارع المقصود، تفضَّل أنت ادخل وأنا في انتظارك في السيارة.

دخلت ذلك الشارع وهو مظلم بعض الشيء، وحين وصلتُ إلى ذلك المترل المنشود القابع آخر الطريق، نظرت له بتفحُّص شديد، فأخرجتُ المذكرة وأخذت أتفحَّص وصف ذلك المترل فهو كالمنازل الأثرية، سوره معدني عليه نقوش غريبة لم أعهدها من قبل فأنا من محبي التاريخ، وقرأت الكثير عنه، ولكن تلك النقوش جديدة لم أعهدها من قبل،فأخرجتُ هاتفي وأخذت في التقاط الصور لذلك المترل وأسواره المنقوشة بالرسومات، حتى خرج لي ذلك الحارس الضخم الذي ذكره

المراقب الجوي في مذكراته، شخص تعدى طوله المترين، أسود البشرة كأبناء الحبشة، ونظرته تُلقي الرعب في النفوس الضعيفة، فنظر لي ثم دار حديث بيننا.

أكمل:

– السلام عليكم أيها الحارس.

ينظر لي الحارس بنظرة جامدة ثم يقول:

– وعليكم السلام أيها الغريب، ماذا تريد؟ وما أتى بك إلى هنا؟

أكمل:

– لمن هذا المترل؟ ومن صاحبه؟

قال الحارس بصوت جهوري:

– إنه لصاحب العهد الجديد أيها الغريب.

أكمل:

– أتقصد الدكتور محب مدير الوحدة الصحية الخاصة بالمطار؟

الحارس بنظرة نارية صوب عيني مباشرة:

– أصحاب العهد القديم فانون، ولا يحق لي الحديث عنهم، فلا تنبش في ذكراهم.

أكمل:

– إذًا ماذا تقصد بالعهد الجديد؟ أهو شخص آخر أم ماذا تقصد؟ أريد إجابة محددة.

نظر له الحارس ثم قال لي:

– اذهب بعيدًا أيها الغريب ولا تنبش في ماضيٍّ، ولا تفكر في أي شيء، فلن تصل إلى أي نتيجة، اذهب ولا تعد إلى هنا مرة أخرى.

أكمل:

– انظر لي أيها الخرف، أنا الرائد أكمل ضرغام من الأمن القومي، والمسئول عن التحقيقات في حريق المطار واختفاء المراقب الجوي ومقتل الدكتور محب، أتسمعني؟ أجبني عمَّا أسألك عنه.

نظر له الحارس مستهزئًا به وقال:

– لا أبالي بما تقوله ولا بهويتك، فصاحب العهد الجديد لم يأمرني بالكلام فاذهب بعيدًا، ولا تأتِ هنا مرة أخرى.

أكمل بنظرة غضب:

– ومَن صاحب العهد الجديد أيها المهرج؟

لم ينظر لي وأشاح بنظره عني ثم ذهب إلى غرفته الخشبية، وأطفأ الأنوار، فذهبت بعيدًا حتى رأيت نورًا ساطعًا قادمًا من كشاف قوي

فلم أتبيَّن ماهيته حتى رأيتُ شيخًا عجوزًا قارب على السبعين عامًا أو أكثر وهو ينظر إليَّ بكل استغراب، ثم قال الشيخ:

– ما الذي أتى بك إلى ذلك المكان أيها الغريب، اذهب بعيدًا ولا تأتي إلى هنا مرة أخرى.

وقبل أن أرد على سؤاله ذهب بعيدًا باتجاه المسجد.

ركبتُ السيارة ثم نظرتُ إلى سعيد وقلتُ له:

– أتعرف ذلك الرجل العجوز المتجه إلى المسجد؟

فقال لي:

إنه شيخ بركة أو عم مصطفى، ولكن أهل القرية يطلقون عليه ذلك الاسم لماذا؟

قلت له:

– لا شيء، لا شيء، اذهب بعيدًا عن ذلك المكان.

فضحك سعيد ثم قال لي:

– لا أعلم مدى استعجالك لنا في المجيء إلى هنا وعلى أي حال على ما أظنُّ أني فعلت ما تريد هيا بنا إلى الاستراحة، فأنا أريد أن أنال قسطي من الراحة لمواجهة جنونك.

فضحكت على ما قاله، ثم قلت له:

– هيا بنا، فأنا بالفعل أريد أن أنال قسطًا من الراحة لمواجهة ما نحن به.

عندما ذهبت إلى الاستراحة دلفتُ سريعًا إلى غرفة نومي ثم أخرجتُ هاتفي وأخذت في تفحُّص الصور حتى لفت نظري صورة للسور الخلفي عليه نقشة لم تكن غريبة عليَّ، لقد رأيتُها في مكان ما لا أعلم أين، ولكني متأكد أني رأيتها، سوف أتصل بخبير الآثار مرة أخرى حتى أتبين الحقائق كاملة.

أكمل:

– أحمد مساء الخير أعلمُ أني أُسبِّب لك الإزعاج ولكنك صديقي.

أحمد:

– لا تبالِ يا أكمل بك، تحت أمرك.

أكمل:

– ماذا وجدت في صور الأوراق التي أرسلتها لك؟

أحمد:

– يا أكمل بك لم يمر 3 ساعات على حديثنا، أحتاجُ إلى وقتٍ كافٍ للبحث.

أكمل:

إذن أريدك أيضًا في أمر آخر لا يقل أهميةً عمَّا سبق.

أحمد:

- خير يا أكمل بك؟

أكمل:

- سوف أرسل لك عشر صور أخرى لمنزل أريد منك رؤيته ورؤية نقوشه.

أحمد:

- إذًا مطلوب مني ترجمة، وشرح لكل الصور المرسلة إليّ، إذًا أعطني وقتًا حتى يتسنى لي ترجمة ما تريد.

أكمل:

- أمامك ثلاثة أيام، فلن أُمضي بقية عمري في تلك القضية وذلك المكان.

أحمد:

- ولكن يا أكمل بك ما أرسلته ليس بالهين.

أكمل:

- أحمد لا يوجد وقت لدينا، القيادات العليا تريد إنجاز تلك المهمة، وحل تلك القضية بأسرع وقت.

أحمد على مضض:

- سوف أحاول أكمل بك.

أشعل أكمل سيجارته ثم أخرج تلك المذكرة مرة أخرى ثم جلس إلى المكتب وأخذ يكمل ما بدأه ثم قال لنفسه:

– الأمور تتعقد يا أحمد، من أنت؟ وما سرُّك؟ لقد بدأت أسأم الألغاز.

***

(9)

ليلة اليوم العاشر بداية الجنون: للمرة الثامنة أحلم بذلك الكابوس، أصوات صراخ وبكاء وإشارات استغاثة، أقوم فزعًا من النوم على أمل أن ينتهي الكابوس، ولكن لا يفارقني ما هذا؟ ماذا يحدث لي؟! أعلم أن ذلك المكان ملعون لعنة أبدية نعم تلك الطائرة CA102 ما هي؟ لقد سمعتُ اسمها جيدًا ونداءها، ولماذا على مدار كل هذه المدة لم أسمع اسمها إلا مرتين فقط؟ هذا يومها الثاني، وما سر رحيل طاقم الموظفين الخاص بالمطار؟ وهل تستدعي أن يذهبوا مع زميلهم المصاب كلهم 18 فردًا هو عدد الطاقم.

الساعة الآن السابعة صباحًا، أرتدي ملابسي في عجالة سريعة حتى ألحقَ بأي سيارة تذهب إلى طريق المطار، وحين فتحتُ الباب وجدت سيارة جيب قديمة تنتظر خارج الاستراحة هبطت درجات السلم ببطء، فرأيت الدكتور محب يبتسم لي ويقول لي:

– جئت لأصطحبك إلى المطار، فأنا أعلمُ جيدًا أنه لا توجد أي سيارات تستقلها للمطار، فهيا بنا يا صديقي.

نظرت له بابتسامة خفيفة ودلفت إلى داخل السيارة.

– دكتور محب أريد أن أسألك عن شيءٍ ما، فهل تسمح لي بالسؤال؟

قلتها له، وأنا أنظر إلى وجهه الذي لم يتلفت إليّ وقال:

– أسأل ما تشاء.

قلت له:

– ما سِرُّ مكوثك هنا على مدار ثلاثين عامًا وأكثر على الرغم من أنك دكتور جيد، وكان المستقبل أمامك.

فقال لي:

– الراحة النفسية ليس أكثر فأنا أحبُّ مهنتي كما تحبُّ مهنتك ولكن الفرق أني غير مُجبر على شيء وأنا أحبُّ ذلك المكان، فأنا فيه كالملوك.

قلت له:

– وعلى هذا أعتبرُك من أغنياء هذا المكان.

فضحك وقال:

- كنت أتمنى ذلك.

حين اقتربنا من المطار توقّف عند محطة التموين وهبط من السيارة، فرأيتُ ورقة قديمة وراء المقعد الخلفي فأخذها على عجل، لعله لم يلاحظني وخبأها في جيبي، وحين انتهى من التموين وملء السيارة بالوقود، دلفَ إلى داخل السيارة ثم أدار المحرك وحين أدار المحرك عاجلته بسؤال وقلت له:

- هل تملك البيت القديم الموجود فالشارع المهجور؟

نظر لي بابتسامة تحمل من معانيها الكثير، ثم قال:

- أي كان؟ فهل يهمك ذلك في شيء؟

فقلت له:

- لا، بل هو مجرد سؤال، أشكرك على ما فعلته من أجلي.

خرجت من السيارة، وأنا أُسرع في خطواتي باتجاه المبنى الإداري وبالتحديد لغرفة التسجيلات.

- يوسف، صباح الخير لم يأتِك أي أخبار من القاهرة بخصوص طاقم عمل المطار أم نعد أنفسنا للنزول؟

قلتها ليوسف وأنا أنظر إليه، فقال لي:

- لم يأتِني أي أخبار نهائيًا بل يوجد خبر مُزعج لك.

فقلت له:

- سترك يا رب، ما هو؟ قل لي ما هو الآن يا وجه الخير؟

قلتها وأنا أضحك.

فضحك لي ثم قال:

- يوجد طيران اليوم، ثلاث رحلات متتالية.

فنظرت له في استياء شديد وقلت له:

- كيف أيها الأبله إنه لغير قانوني أن أستقبل أي طائرة بدون أي من الاستعدادات المحلية في وجود سيارة الإرشاد والمطافيء وسيارة الإسعاف، بل الكثير من الأشياء تنقصنا، ما بك أيها الغبي؟ أهي أول مرة لك في المجال؟

فضحك وقال لي:

- مالي أنا ومال المراقبة أنا مهندس اتصالات.

صعدتُ إلى برج المراقبة حيث استقبلت مكالمة هاتفية تفيد بتحرك الثلاث طائرات بالتتابع، ولكني أبلغتُهم أن المطار غير صالح للعمل نظرًا لعدم وجود طاقم العمل الخاص به، وحينها تم الاتصال بالجهات المعنية حتى لا أقع تحت المساءلة القانونية..

استغاثة، استغاثة، الطائرة CA102

أمسكت جهاز الراديو وأرسلت الإشارة من البرج إلى الطائرة CA102:

- ابدأ الإشارة.

قلتُها، وأنا أرتجف فهذه ليست المرة الأولى ولكن ما جعلني أرتجف حقًّا من الخوف هو عدم وجود طاقم العمل معي، فأطلقت صفارة الإنذار، وهاتفت الطائرة مرة أخرى ولكن لا مجيب أكثر من خمس مرات وما زلتُ أسمعُ ذلك الصراخ والبكاء الذي لا أعلمُ مصدره..

- أغيثوني..كفُّوا عن ذلك الصراخ..

أمسك جهاز الراديو وأقول:

- من البرج إلى الطائرة **CA102** أعيدي رسالتك،أعيدي، اللعنة! لِمَ لا تستجيبين إلى ندائي؟!

وما زالت الصرخات تتعالى..

يرن الهاتف فألتقط السماعة لأسمع يوسف مهندس الاتصالات يقول لي:

- أحمد ما بك؟ إلى من تتحدث وتنادي؟

قلت له:

- أيها الأصم، إنه نداء استغاثة، ألم تسمعه؟

أحمد:

- أُجننت أنت أم ماذا؟

ثم يسكت لبرهة فأُغلق الخط في عجالة ثم أهبط درجات السلم مسرعًا إلى غرفة التسجيلات وأصرخُ به:

أعد تلك التسجيلات،أعدها مرة أخرى.

وأمسك بأطراف قميصه فيقول لي في خوف:

حسنًا اهدأ، سوف أُعيد لك التسجيلات.

ثم أدار ظهره لي وبدأ في إعادة التسجيل..

لا يوجد شيء..

أخرجُ مسرعًا من تلك الغرفة ممسكًا برأسي، فالأصوات لا تفارقني، أهو بداية الجنون؟

على بعد أمتار يقف الدكتور محب مبتسمًا ناظرًا إلى أحمد وفي نفسه يقول:

- لن تصمد كثيرًا أيها الشاب، فغيرك لم يستطع الصمود أمام هول ما أفعله، وما سوف أفعله بك.

ثم دخل إلى غرفته مُخاطبًا شيئًا غير مرئي ويقول:

- باقي من الزمن 5 أيام أيها الحبشي، وسوف تكون لي، سوف أعوِّض ما فاتني وتصبح القوة والمال ملكي للأبد.

ثم ضحك ضحكة جنونية ارتجت لها الأركان.

(10)

أسيرُ شارد الذهن، لا أعلمُ ماذا يحدث لي حتى أصعد إلى أولى درجات السلم حتى أراه، ولكني لم أهتم ما دامت كلها أوهامًا من عقلي الباطن أو بداية الجنون كما قال لي يوسف، ولكن لم أنتبه حتى رأيت ذلك العسكري يقترب من برج المراقبة أكثر، شعرت بالخطر الشديد حين رأيته، وقف وهو على بُعد خطوات قليلة من البرج، ثم أشار بيده إلى ناحية ذلك المكان، ولكني لم أستطع تحديده، ولكنه أخذ فالإشارة، فلم أرَ إلا الجانب الآخر من الممر، لا لن أتركك هذه المرة.. إشارتك تدلُّ على الطرف الآخر من الممر وتحديدًا عن تلك النخلات الثلاث القابعة على بُعد 250 مترًا من الجانب الآخر للممر، ولكن يا تُرى، لماذا تشير تحديدًا إلى ذلك المكان حين هممت بالنزول اختفى.

ذهبتُ إلى القرية بعد أن ذهبت مع الدكتور محب على مضضٍ وحين اقتربنا من المسجد طلبت منه أن يقف بالسيارة ثم شكرته ودخلت إلى المسجد فقابلني عم مصطفى فربت على كتفي ثم دار بيننا ذلك الحديث:

عم مصطفى:

– السلام عليكم يا أحمد يا بني كيف حالك؟

أنا:

– وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته عم الشيخ مصطفى أنا الحمد لله.

عم مصطفى:

– أحمد أنت لست على ما يرام فقل لي ما بك.

أنا:

– عم الشيخ مصطفى المكان كله يحتاج إلى إبادة جماعية، أشياء غريبة تحدث، أحلام متكررة أراها، أين أنا تحديدًا؟

عم مصطفى:

– لا يا بني، بل الوقت لم يأتِ بعد.

أنا بلهجة حادة: عم مصطفى كفى تخريفًا، ما الذي تقوله؟ وما علاقة سؤالي بالوقت؟

ضحك عم مصطفى ثم قال لي:

حين تحب أن تتحدَّث، أنا موجود، ولكن أريد أن أنبهك لشيء مهم، حين تغوص في أعماق موضوع ما ولا تعلم ماهيته، اجعل لنفسك شاطئًا ترسو عليه.

نظرت له نظرة ساخرة ثم قلت له:

- أشكرك للمعلومة القيمة.

نهض الشيخ مصطفى من مكانه ثم نظر لي وقال لي بلهجة جدية:

- لا تتمادَ في علاقة الصداقة مع ذلك البدين الدكتور محب فهو شخص غريب الأطوار، وليس محبوبًا بين جنبات القرية، فأرجو منك أن تتوخَّى الحذر.

قلت له:

- لم أعد أهتم، كل ما أريد أن أعرفه هو نهاية تلك الأوهام.

ذهبتُ إلى استرا-حتي سريعًا، ثم أبدلتُ ملابسي وأنا شارد الذهن حتى انتبهت من تلك الورقة التي سرقتها من سيارة الدكتور محب فقلت لنفسي:

- ورقة غريبة وكأنها من كتاب قديم.

نظرت لتلك الورقة مرارًا وتكرارًا حتى مللتُ، فأزحتُها جانبًا، ثم قمت من مكاني متجها إلى الحمام فخلعتُ عني ملابسي وبدأت في الاستحمام وأنا أنظر إلى الحائط ولم أنتبه إلى أن هناك مَن يُراقبني، ولكنه بالتأكيد من محض خيالي.

حين دلفت إلى غرفتي جلستُ إلى طاولة قديمة موجودة بركن للغرفة، ثم جلست ومعي بعض الأوراق وقلم إلى جانب تلك الورقة القديمة،وكتبت نداء استغاثة من طائرة تحمل اسم **CA102** وأصوات صراخ طاقمها، ذلك العسكري المجهول والثلاث نخلات، المنزل المهجور والدكتور محب، هروب طاقم التشغيل الخاص بالمطار بالكامل ما عدا يوسف؟ أليس كل هذا داعيًا للحيرة والقلق؟

أمسكتُ هاتفي ثم اتصلت بزوجتي اطمئنُّ عليها وعلى ابني وأغلقتُ الهاتف بسرعة فعقلي كان مشتتًا في تلك الأحداث، رتبت أوراقي بحيث أستطيع الوصول إلى أجوبة لكل ما يحدث لي أم أنا كما قال لي يوسف مجنون، الطائرة **CA102** قمت بكتابة اسم الطائرة على محرك البحث بالإنترنت، وبدأتُ في تجميع المعلومات عنها وتدوينها في المُذكّرة الخاصة بي.

***

ابتسم أكمل ثم قال ضاحكًا لنفسه:

والآن سنبدأ بإمساك الخيوط، أين تلك المذكرة؟

فقام كالمجنون يبحث عن تلك المذكرة حتى أحدثَ جلبة كبيرة وضجيجًا بالغرفة، فناداه سعيد وقال له:

- أكمل بك أنت بخير.

قلت له:

- نعم، تعالَ، أريدك، ابحث معي عن مذكرةٍ من ضمن تلك المذكرات مكتوب بداخلها طائرة رقم CA102.

فنظر لي سعيد في تعجُّب، وقال لي:

- أمامك خمس مذكرات يا أكمل، وبالتأكيد توجد بهم تلك الكلمة، فماذا تريد بالتحديد.

أمسك أكمل مذكرة سوداء وقال لسعيد:

- الآن سوف نبدأ بفك اللغز وحلّ تلك القضية اللعينة.

***

(11)

اليوم الثاني عشر..

ما توصلت له من نتائج غير مرضية لي، ولكن أيقنتُ أن وراء المدعو محب شيئًا أكبر من قدراتي؛ ولذلك قررت تتبع خطوات ذلك البغيض حتى يتسنى لي معرفة ما يقوم به، لذلك قررت عدم الذهاب إلى المطار ومراقبة محب، فكانت أولى محطاتي هو المترل المهجور، فقررتُ الذهاب إليه ومواجهة ذلك الحارس ومعرفة ما يدور بداخل ذلك المترل.

ذهبتُ إلى ذلك المترل، ووقفت أمام الباب وناديتُ بأعلى صوتي:

– يا دكتور محب، يا دكتور محب.

فخرج ذلك الحارس، ولكن على غير عادته وجدته مبتسمًا ابتسامة خفيفة، وقال لي:

- أهلًا كابتن أحمد.

تعجبت من طريقة الرد ثم قلت له:

- كيف علمت باسمي؟

فضحك وقال لي:

- يا كابتن القرية كلها تعلم باسمك، فلماذا تستعجب من معرفتي لاسمك، وفي كل الأحوال الدكتور محب الآن غير موجود.

فقلتُ له:

- هل يملك هذا المنزل؟

قال لي:

- من يملكه ملكه فلا تدخل فيما لا يعنيك.

ثم أدار ظهره، وقال لي:

- تفضَّل كوب شاي.

فتركته وعدتُ أدراجي إلى الطريق الرئيسي.

مَرَّ اليوم بطيئًا كغيره من الأيام حتى صلاة العشاء، فذهبتُ إلى المسجد، وقابلت عم مصطفى، ودار بيني وبينه حوار أكاد أجزم أني خرجتُ منه لا أفهمُ أي شيء سوى العهد الحبشي.

عم مصطفى:

- تقبَّل الله يا أحمد يا بني.

أنا:

- تقبَّل الله يا عم مصطفى، أعتذرُ لك عما بدر مني المرة السابقة، ولكني في حيرة من أمري، وأكادُ أجزمُ أن عقلي أصابَه الجنون.

رد عم مصطفى في إشفاق:

- أعلم يا ولدي ما أنت فيه، ولكن ليس باليد أي حيلة، ولكنَ تأكد أن يد المبروك سوف تساعدك.

نظرت له باستغراب وقلت له:

- المبروك والحبشي، ما هذا الجنون؟!

نظر لي بنظرة ذهول ثم تبعه قول:

- الحبشي؟ أقلتَ يا ولدي الحبشي؟ وما أدراك ما الحبشي؟ ومَن قال لك عنه؟

فبهدوء شديد أخرجتُ من جيبي تلك الورقة التي أخذتها من سيارة محب.

فنظر لي نظرة توتر، ثم أخذ مني الورقة سريعًا حتى لا يراها أحد، ثم قال لي:

- اتبعني إلى منزلي.

وفي أثناء حديثهما كان يوجد من يراقبهما من بعيد ولم يشعرا به.

دلف الشيخ مصطفى إلى مترله القريب من المسجد وأنا وراءه ثم خرج مرة أخرى يتلفت يمينًا ويسارًا، ثم دخل وأغلق الباب بإحكام ثم أدار شريطًا للقرآن بصوت عالٍ ثم نظر إليّ وقال:

- ماذا تريد أن تشرب يا أحمد يا ابني؟

نظرت له ببعض من الخوف والقلق الواضح على معالمي، وقلت له:

- لا شيء، لماذا أوصدتَ الباب؟ ولماذا أدرت جهاز الكاسيت بصوت عالٍ؟

فقال لي:

- سوف تعرف يا بني، ولكن أرجوك قل لي:من أين حصلت على تلك الورقة؟

قلت له بحدة:

- شيخ مصطفى، لقد قصصتُ عليك كيف حصلت على تلك الورقة.

فضحك وقال:

- لقد علمت أن محب هو اللص المنشود والذي حذرني منه المبروك رحمه الله، فقلت له ومن الشيخ المبروك؟

***

(12)

في أحد العهود القديمة كانت للحرب عنوان للملك وهو الملك الحبشي، شاب أسمر اللون مفتول العضلات، قوي البنيان، كان هيبته تُرهب قلوب أعدائه، يمتطي جواده الأبيض، ويحمل سيفًا ذهبيًّا ثقيل الوزن لا يستطيع أحد غيره حمله هو الملك الجسور الحبشي، ففي أرض المعركة تشاهده كالأسد يقف بين جنوده ويكيل ضربًا على أعدائه بسيفه الذهبي، ملك جسور لا يهاب الموت، حاكم رشيد صاحب عقل وحكمة رغم صغر سنِّه كان يحكم المنطقة الجنوبية ما بين مصر والحبشي بعد أن استولى عليها من الفرعون الأكبر بعد أن سلبها بالماضي، وبعد حرب دامت ثلاثة أشهر متتالية تم عقد هدنة صلح بين الملك الحبشي والفرعون الأكبر، ونصَّت الهدنة على عهد الأمان والحرية التجارية بينهم وبين الفرعون الأكبر.

كان يتمتع بحب الشعب الحبشي له، فكان هو إله ذلك العصر وتتبعه الحكماء والكهنة، فكانوا ينصتون إلى رأيه ويتناقشون معه فلم يكن بالطاغية أو المتكبر ومن ناحية أخرى كان يراعي مصالح شعبه دون أي كللٍ أو ملل حتى ظهر له من يحقد عليه وهو وزيره وكاتم أسراره وأخيه الأمين، وفي أثناء اجتماعهم أسرع إليه أحد الخدم وهو يهمس في أذنيه فنظر له متعجبًا ثم قال:

- أدخله فورًا.

فنظر له الوزير ثم قال:

- مولاي ماذا هناك؟

فنظر له الملك الحبشي ثم قال:

- إنه قائد الجيش يطلب مقابلتي لأمر جلل.

يدخل إلى القاعة قائد الجيش وينحني أمام الملك ثم يقول:

- مولاي الحبشي جئتُ لك بأخبار غير سارة.

الملك الحبشي:

- تكلم أيها القائد وقل لي.. ماذا هناك؟

الوزير:

- تكلم سريعًا فالملك الآن مشغول، فأسرع في حديثك.

نظر له قائد الجيش وقال:

- لقد تم خرق هدنة الحرب بيننا وبين الفرعون الأكبر، وتم اختطاف ابنته بقافلتها التي كانت باتجاه إحدى مدننا يا مولاي، وتم قتل جميع حراسها.

الملك الحبشي غير مصدقٍ:

- ماذا تقول أيها القائد؟ أتعلم عاقبة تلك الكلمات، وتلك الفعلة؟ سوف تكون هناك حرب شرسة، وقد أُنهكت قوى جيشنا، وفقدنا الكثير من أبنائنا،والأهم من ذلك ابنة الفرعون الأكبر تُخطف من أرضي، فيا له من عار سوف يلحق بي! أي خزي سوف أحمله ومن معي!

نظر الملك حوله وصرخ بأعلى صوته وقال:

- أين الوزير والكاهن الأعظم؟

همس له الخادم بأنهم خرجوا في أثناء حديثه فغضب بشدة، وصاح:

- استدعوهم حالًا، فنحن بصدد حرب أخرى مع الفرعون الأعظم ما لم نجد حلًّا سريعًا لذلك الموقف.

قائد الجيش:

- مولاي يوجد أمر آخر أريد أن أتحدث مع جلالتك بشأنه

نظر له الملك الحبشي بغضب شديد ثم قال:

- ليس الآن، استدعِ حراس المعبد فسوف أذهبُ حتى أجد ابنة الفرعون الأعظم.

يدخل الملك الحبشي إلى غرفة صغيرة، وكأنها الغرفة الخاصة له يدلف إلى داخلها ثم يُغلقها بإحكام ويتقدَّم ببعض الخطوات إلى منضدة عليها صندوق من العاج، فيفتحها ثم يخرج ما فيها وما فيها إلا خمس أوراق قديمة يمسكها ثم يبدأ في تلاوة صلواته فيقول:

"يا أبناء المرصد، يا أصحاب العهد، يا من منحتموني القوة والسلطان، يا أصحاب القوة العظام، يا من منحتموني قوة العهد أستدعيكم بحق قوة الإله وحق من أعطاكم القوة أجيبوني يا أبناء المرصد، أجيبوني".

تهتزُّ أركان الغرفة ثم يظهر أربعة رجال مُلثّمين بأقنعة ذهبية أقوياء البنيان، أصواتهم جهورية، تهتزُّ لها الجبال، ثم يتقدم أحدهم إلى الملك الحبشي، ويقول له:

- السلام عليك يا صاحب العهد الحبشي يا ملك الجنوب.

الملك الحبشي:

- وعليك السلام يا أبناء المرصد،أنا باقٍ على العهد ما استطعتُ، وإن أُبدد، ولكن أعطوني القوة والحكمة، فلقد خُطفت ابنة الفرعون

الأعظم، وقُتل حُراسها،ونحن في حالة هُدنة ولا أريد إنهاك قوة جيشي في حرب أخرى، فيكفي من الدمار ما لحق بنا ومن قتلانا ما فقدنا.

يصيح أبناء المرصد كلهم في صوت واحد جهوري:

ما دمت تحافظ على العهد، والسر فنحن معك ونحذرك أن يقع ذلك الصندوق في يد خاطيء أو آثم، فهناك نجتمع في أربع برديات أما الخامسة فهي لخامس أبناء المرصد وأشدنا عُنفًا وقوةً، وقوته تفوق قوتنا، ولا يستطيع أحد السيطرة عليه وهو الجانب السيئ من نسلنا فلا تفكر أن تفتحها أو تقرأها، فقد تجلب الموت والدمار لبني قومك.

نظر الملك الحبشي إلى سيفه الذهبي الذي لا يقوى أحد على حمله إلا هو، وهو يقول:

– بالسيف نأتي بالحق.

ثم خرج مسرعًا من غرفته إلى ساحة القصر، ثم صرخ:

– يا حراس المعبد، لقد خُطفت ابنة الفرعون الأعظم، ونحن في حالة هدنة معهم، هيا بنا نستردها، والمخطيء لا بد أن يُحاسب أمام الجميع.

ذهب الملك الحبشي بحراس المعبد إلى مكان ما حدَّده قائد الجيش بعد أن أطلق البصاصين في كل الأماكن حتى وصلوا إلى مكانها ودارت معركة شديدة جُرح فيها مَن جُرح وقُتل فيها من قتل حتى تم تحرير ابنة فرعون الأعظم وهرب الاثنان الملثمان.

عندما عاد الملك الحبشي إلى قصره تعجَّب من عدم وجود وزيره الأمين وكاهنه فلما سُئل قائد الجيش قال له:

- مولاي الملك هذا هو ما أريد أن أتحدث معك بشأنه.

الملك الحبشي:

- تكلم، أين الوزير والكاهن الأعظم؟

قائد الجيش:

- في أثناء انشغالك بالتجهيز لتحرير ابنة الفرعون أتى إليّ أحد جندي، وقال لي.. إنه شاهد الوزير الأمين والكاهن الأعظم يهربون من الباب الخلفي للقصر واختفيا.

قال له في غضب شديد:

- ماذا تقول أيها القائد! لا أستطيع أن أُصدِّق ما تقوله.

***

ترك عم مصطفى كوب الشاي وهو ينظر إلى أحمد ويقول:

- بعد فترة مات الملك الحبشي،وكما قلتُ لك فهو قوي، البنيان ضخم الجثة، يصعب على الأفراد العاديين حمله، وكان هذا أول ظهور لأبناء المرصد وآخر مرة يظهر فيها أربعة ملثمين بأقنعة ذهبية طولهم متران وأكثر، وأقوياء البنية حيث تم دفن الملك الحبشي في مقبرة على

عمق 20 مترًا، وتم إيصادها بإحكام بنقوش وتعاويذ وتحت حماية أبناء المرصد.

فنظرت له:

– وما سبب موته؟ وأين وزيره وكاهنه؟ وماذا عن الصندوق؟

نظر الشيخ مصطفى ثم قال:

– لا أعلمُ، هذا ما وصلنا، وهذا ما قصصتُه عليك.

– إذًا هذه هي الورقة الخامسة التي قلت عليها يا شيخ مصطفى في حكايتك.

قلتُها وأنا أنظر إلى تلك الورقة.

فقال لي:

– هذه أول مرة أري فيها ذلك الورق، ولكني في سنك كنت أُنقِّب عن الآثار،وهذه الورقة شكلها كالتقليد ليست حقيقية.

فنظرتُ له ثم تركته لأفتح الباب وأذهبُ بعيدًا.

ما زال في عقلي الكثير من الأسئلة،ولكني وجدتُ بعض الأجوبة، فلماذا القلق والخوف؟!

مع محب سوف أجدُ إجاباتي.

(13)

CA102 هي طائرة خاصة صغيرة الحجم كانت ملكًا لرجل أعمال أجنبي، فُقدت منذ حوالي عشر سنوات.. كان رجل الأعمال الأجنبي إنجليزي الجنسية "جون آدم"، وهو مستثمر في مجال الزراعة وكان يأتي سنويًا حتى يباشر أعمال مزرعته بتلك المنطقة الجنوبية، ويمكث في بيت بناه هو بنفسه يحمل طابعًا خاصًا فكان من عشاق الفن والتاريخ، ولذلك صمَّم ذلك المترل على هيئه قصر ومحاط بأسوار كالتي نراها في مسلسلات التاريخ الروماني وعليها نقوش بديعة قد زيَّنها بماء الذهب وهو ما أثار استغراب جميع قاطني القرية.

أدهم الرملي قائد طائرة رجل الأعمال جون آدم وهو من أمهر الطيارين الذين خدموا في مجال الطيران، ولكنه فضَّل العمل الحر كطيار حتى يتسنى له الوقت في مباشرة أعماله الأخرى، وعلى جانب آخر مساعده الطيار الشاب "آسر" وهو خريج حديث من أكاديمية الطيران.

منذ عشرة أعوام وكان ذلك المطار تحت التجديد عندما هبطت الطائرة CA102 في يوم 1/12 من كل عام حيث يأتي مستر جون آدم بصحبة زوجته كاترين وأولاده الثلاثة أندرو وماتيلدا وسميث الصغير لمباشرة أعمال المزرعة الخاصة به في تلك المنطقة، وكان مستر جون من محبي مصر ومن عُشاق مناخها، فكان يأتي للمكوث حوالي أسبوعين للعمل والاستجمام في الوقت نفسه، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان وهو مرض سميث الصغير والمفضل لقلب مستر جون في اليوم السابع لهم بتلك المنطقة الجنوبية.

تم الاتصال بالكابتن الطيار أدهم قائد الطائرة وعمل اللازم حتى يسمح لهم بالسفر في ذلك الوقت، وتم إبلاغ المسئولين في المطار بسرعة إنهاء التصاريح الخاصة بإقلاع وكان في ذلك الوقت طاقم تشغيل المطار على أعلى مستوى وتم إقلاع الطائرة من المطار حتى بعد مسافة ليست بقصيرة وهي مسافة 80 ميلًا غربي جنوب المطار، تم الاتصال ببرج المراقبة في نداء عاجل واستغاثة من قائد الطائرة CA102 بتوقف أحد محركات الطائرة وهم على ارتفاع 15 ألف قدم، فطلب قائد الطائرة من المراقب الجوي أن يسمح له بالعودة.

وعلى الفور قام المراقب الجوي بإطلاق سارينة الإنذار وعمل استعداد محلي وهو وضع جميع قوى المطار في وضعية الاستعداد لحالات الطوارئ، وإبلاغ المسئولين، وكل القطاعات بالقاهرة، وأخذ المراقب الجوي في النداء على الطائرة.

المراقب الجوي:

– من برج المراقبة إلى الطائرة CA102 ما الموقف عندك الآن؟

قائد الطائرة:

– من الطائرة CA102 إلى برج المراقبة نحن الآن على ارتفاع 12 ألف قدم نهبط في سرعة شديدة على مسافة 75 ميلًا، لا أستطيع التحكُّم في الهبوط.

المراقب الجوي:

– تم اتخاذ الإجراءات اللازمة، أرجو منك أن تحاول أن تتحكم في الطائرة.

قائد الطائرة:

– عُلم، وجارٍ التنفيذ.

أصوات صرخات الأطفال، وكاترين بثت الرعب الشديد في قلب المراقب الجوي، وبعد عشر دقائق من الاتصالات توقف صوت قائد الطائرة والصراخ من حوله توقُّفًا نهائيًا، جعلت المراقب الجوي يُكرر النداء بهستيرية حتى تم إبلاغهم من الجانب العسكري بتحطُّم طائرة على الشريط الحدودي للدولة، على الفور قام المراقب الجوي في ذلك الوقت ويُدعى محمود صلاح بالاتصال بالجهات المعنية للإبلاغ عن سقوط الطائرة CA102 وقام بالاتصال بفِرق البحث

والإنقاذ بوزارة الطيران المدني والتي على الفور تحرَّكت بفريق بحث كامل للبحث عن الطائرة المفقودة.

بعد أربع ساعات أتت فرق البحث والإنقاذ وهي تُمشِّط الشريط الحدودي حيث تم تبليغ الدولة المجاورة بالحادث، وعلى الفور تحركوا مع الطاقم المصري للبحث عن الطائرة المفقودة، ولكن دون جدوى، يومان من البحث المتواصل حتى تم إبلاغ الجانب العسكري المصري بالعثور على الطائرة المفقودة ووجود 5 جثث لضحايا تلك الطائرة، وجارٍ البحث عن الاثنين المفقودين الآخرين.

شهر كامل من البحث المتواصل ولم يُعثر إلا على 5 جثث، ولم يتم العثور على الجثتين الباقيتين، تم الإعلان عن أسباب الحادثة في مؤتمر صحفي في بيان مشترك عن وزارة الطيران المصرية والسفير الإنجليزي بمصر، وكانت الأسباب هي عطلًا في محركات الطائرة مما أدى إلى سقوطها، وأن سقوط الطائرة سببه خلل فني وليس خطأً بشريًّا، أما بخصوص الضحايا فكانت لقائد الطائرة أدهم الرملي ومساعده آسر.. أحمد، والسيدة كاترين جولد وأندروجون وماتيلدا جون، والمفقودون هم مستر جون آدم والصغير سميث، وجارٍ البحث عنهم، وتم الانتهاء من المؤتمر الصحفي والإعلان عن غلق المطار حتى تجديده.

***

أغلق أكمل المذكرة وهو يتكيء على المكتب،ويشعل سيجارته ثم يقول:

– تلك الطائرة التي كانت تأتي إلى أحمد في أحلامه، ويستمع إلى نداءاتها، ولكن هذا كان من عشر سنوات، وأين جسم الطائرة؟ وأين المفقودون؟ ولِمَ تكتَّمْتَ الأخبار بعدها؟ وأين مصدر تلك المعلومات وصحتها؟ سوف أتصل صباحًا بأحد المسئولين في وزارة الطيران حتى أتأكد صحة تلك المعلومات، ولكن ما وجه الاستفادة من تلك المعلومات فهي ليست في صلب القضية، فقضيتي الأساسية هي حريق المطار واختفاء المراقب وقضية مقتل محب التي صادفتها هنا.

يطرق سعيد الباب، ودون إذن يدفع الباب بكل قوته وعلى وجهه علامات القلق والفزع، فيقوم أكمل من جلسته ويقول له:

– ماذا حدث يا سعيد، أخبرني؟

سعيد:

– جاءنا بلاغ الآن يفيد بسقوط المترل المهجور المملوك لدكتور محب، ومقتل حارسه تحت أنقاضه.

أكمل:

– ماذا تقول يا سعيد؟ كيف حدث هذا؟ ومتى؟ وأين كنا نحن وقت سقوط ذلك المترل؟ ثم قل لي.. أين أهل القرية؟

ينظر له سعيد بحيرة ويقول له:

- يا أكمل بك هذه ليست قرية سكنية، تلك قرية لسكن العمال والموظفين الذين يعملون في المزارع والمصانع المجاورة لتلك القرية.

أكمل:

- هيا بنا إلى هناك، وللحديث بقية، هيا حتى لا نتأخر.

ارتدى أكمل ملابسه على عجلٍ ثم ركب السيارة هو وسعيد وعدد من قوة الشرطة التي معه وفي الطريق قال أكمل لسعيد:

- مَن صاحب البلاغ؟

نظر له سعيد ثم نظر إلى الطريق وقال:

- الشيخ مصطفى إمام المسجد، وكان بلاغه الساعة السابعة صباحًا حيث تكون القرية خاوية من سكانها ما عدا طاقم عمل المطار الذين لم نرَهم منذ قدومهم من عدة أشهر.

تقف السيارة أمام الشارع المهجور الذي امتلأ بالعمال وأصحاب المحلات وبجانبهم سيارة الإسعاف والمطافئ، فيصرخ أحد العساكر في الجموع المحتشدة ويقول لهم:

- ابتعدوا.

ويصرخ فيهم حتى يفسح للضباط المجال للدخول، وحينما دخلوا عند المترل المهدم وجدوا رجلًا بملابس بيضاء، فسألوه عن سِرِّ وجوده فقال لهم:

- أنا الشيخ مصطفى صاحب البلاغ.

نظر أكمل للشيخ لمصطفى ثم أشاح بنظره إلى الترولي الخاص بالإسعاف ويطلب منهم الوقوف لرؤية جثة حارس العقار.

أمسك أكمل بطرف الغطاء الأبيض الموضوع فوق جثة الحارس، وجهه مقطع وغير واضح المعالم وجسمه كحبة الطماطم اللينة، فغطّاه أكمل مرة أخرى ثم قال لسعيد في استسلام:

- خُذ الشيخ مصطفى إلى النقطة لنأخذ أقواله.

ينظر سعيد إلى الشيخ مصطفى ويقول له:

- تفضَّل معي يا شيخ مصطفى.

فنظر له الشيخ مصطفى وقال:

- تفضَّل يا بُني.

يمسك أكمل بهاتفه ثم يطلب العميد فوزي وهو يقول له:

- مساء الخير سيادة العميد.

العميد فوزي:

– أهلًا أكمل، طمئني على حالك وعلى سيرِ التحقيقات عندك.

قال أكمل بصوت مُنهَك:

– القضية تتعقد أكثر، أعطيتني ملف القضية وهو حريق المطار واختفاء المراقب الجوي حين أتيتُ وجدتُ جريمة قتل دكتور يُدعى محب، والآن قضية أخرى وهي سقوط منزل ومقتل حارسه، وهذا المنزل هو ملك للدكتور محب القتيل، لا أعلمُ سيدي، ولكنها أول قضية أشعر أني غير قادر عليها.

العميد فوزي:

– أكمل ضرغام من أفضل الضباط في وحدتي يصرخ ويكتئب مثل النساء يا لخيبة أملي! أكمل بيك أُجننت أنت أم ماذا؟ قضية بسيطة مهمة مثل تلك القضية التي في يدك وتقول لي معقدة؟!

أكمل:

– يا فندم أنا لا أتنصَّل من مهام وظيفتي، ولكن تلك القضية معقدة لدرجة كبيرة جدًّا صعب شرحها لسيادتك في الهاتف.

العميد فوزي:

– أكمل.. أمامك من الآن خمسة أيام أيها الفاشل حتى تعطيني تقريرًا مُفصَّلًا عن تلك القضية، فأنا لا أقوى على غضب القيادات العليا بسبب ضابط كسول مثلك.

أكمل بحنق شديد:

- تحت أمرك يا فندم.

يغلق أكمل هاتفه ثم ينظر إلى السماء، ويسير في طريق العودة إلى نقطة الشرطة، وبعد نصف ساعة من السير وجد أكمل الشيخ مصطفى وهو على باب النقطة ويبتسم لي ويقول:

- تشرفت بمعرفتكم يا أكمل بك، لقد أدليتُ بأقوالي.

فنظر له أكمل وقال:

- انتظر أنا أريد الحديث معك.

فابتسم الشيخ مصطفى وقال له:

- صلاة العشاء يا أكمل بك في أمان الله.

ثم تركهما وسار في طريقه.

نظر له أكمل وهو يسير ثم اتجه مباشرة إلى غرفة التحقيقات ثم قال لسعيد:

- أطلعني على نتائج التحقيقات الآن.

نظر له سعيد مازحًا:

- أتمنى لو كنت في كلية تجارة، فلا تعب ولا ملل.

فنظر له أكمل مرة أخرى في ابتسامة خفيفة ثم قال له:

– إنه القدر والنصيب يا صديقي.

ثم أمسك أوراق المحضر ثم اتجه إلى كرسيه ثم فتح ملفًا وأخذ يقرأ أقوال الشيخ مصطفى، ثم قال:

– يا سعيد تُقيَّد الفعلة ضد مجهول.

فنظر له سعيد في ذهول وقال:

– كيف ذلك يا أكمل بك.

نظر أكمل في حدة ثم قال:

– افعل ما أقوله لك يا سعيد، فأمامنا مهمة أخرى لا بد أن تُنجز، 5 أيام هي مهلتي للانتهاء من التحقيقات، إما أن نَصِلَ للجاني وإما أُقيد تلك القضية ضد مجهول.

خرج أكمل إلى الشارع الرئيسي ونظر إلى السماء ثم دلف سريعًا إلى غرفة التحقيقات ثم أخذ ورق التحقيق من فوق المنضدة ثم دخل إلى غرفته.

***

(14)

اليوم الخامس عشر هو يوم المواجهة بالنسبة لي مع ذلك العجوز الخرف محب ومواجهته بأفعاله الغريبة.. ففي اليومين الماضيين أخذت في مراقبته ورصد تحركاته، صعدتُ إلى البرج الساعة التاسعة صباحًا حتى اتصلَ بي أحدُ المسئولين في القاهرة يفيد بأنهم أرسلوا طاقم تشغيل جديد للعمل وأن المطار سوف يكون جاهزًا للتشغيل رسميًّا يوم **1/20** فأغلقتُ الهاتف وأنا على يقين تامٍّ أن اليوم لن يكون الأخير لي.

يرن هاتفي فإذ هو صديقي وبديلي الكابتن/ محمود.. فابتسمت، وأنا على يقين تام بأنه لن يأتي صباح يوم غدٍ لاستلام العمل..

فأجبته وقلت له:

– صديق الكفاح كيف حالك والزمن؟

ضحك محمود بشدة وقال:

– تلك الكلمة هي مفتاح النحس، أرجوك لا تقلها مرة أخرى، أحمد، أريد منك خدمة بسيطة،ابنتي الصغيرة مريضة، وأريد أن أطمئنَّ عليها قبل أن أستلم مكانك.

تحوَّل صوتي من الهزل إلى الجد:

– نعم من الأفضل ألا تأتي حتى أتبين بعضِ الأمور الخاصة بالمطار فلا تأتِ حتى أتصل بك واعلم أنك سوف تمكث بنفس مدتي.

محمود:

– أحمد ما بك على غير العادة، قل لي يا صديقي ما أصابك؟

انفعلت بشدة وكأني في مشاجرة وقلت له:

– إن الأصوات بدأت في ازدياد، نعم أصوات صراخهم مع كثرة نداءات الاستغاثة تثير جنوني حتى في نومي تأتيني لا أعلم متى تنتهي لا أعلم؟

محمود:

– أحمد أخبرني ما بك فأنا قلق عليك.. ألو أحمد، ألو.

أغلقت الهاتف وأنا في حالة لا يرثى لها، استشعرت بالخطر الشديد حين رأيتُ مرة أخرى ذلك الجندي صاحب القميص الملطخ بالدماء وهو يشير إلى تلك النخل الموجود على الطرف الآخر من

الممر الخاص بالطائرات، ولم أشعر إلا وأنا أهبط درجات السلم المعدني بسرعة شديدة لا تناسب حجمي أو وزني الثقيل حتى وصلت إلى تلك النقطة المشار إليها..

أين اختفى ذلك الجندي وما سر ذلك النخل التي لا يقوى أحد من أهل المكان الاقتراب منه.

أخذت بالاقتراب منه حتى شعرتُ بحرارة شديدة كلما اقتربت من تلك البقعة، سمعت صوت ذلك العجوز البدين الدكتور محب وهو يصرخ ويحذرني بالاقتراب من ذلك المكان، من أين أتى هذا الرجل؟ وكيف لاحظني؟ ومَن أعطاه الحق في أن يصرخ عليَّ بهذه الطريقة الفجة؟

نظرت له بغضب شديد ثم عدتُ أدراجي إليه وأنا أصرخ عليه بحنق وغضب غير عادي ثم قلت له:

- مَن أعطاك الحق أن تكلمني بتلك الطريقة؟

فنظر إليَّ وعلى وجههِ ابتسامة شعرت منها بأني أمام مُختلٍّ عقلي شديد الخطورة.

دلفتُ إلى المبنى الإداري المكون من طابق أرضي واحد ومُقسّم إلى 8 غرف في أول غرفة منها هي غرفة التسجيلات والتي يعيش بها يوسف.

طرقت الباب بشدة فنهض يوسف وهو يتثاءب ويقول:

- أحمد ما بك؟تطرق الباب كأنك أحد المخبرين؟ما بك؟ أرجوك ارحمني من مما تفعله.

قلت له وأنا أنظر له بغضب واضح:

- ألم تسمع صوت شجاري أنا وذلك المعتوه يا يوسف، ذلك الشخص وقح، لقد كان يصرخ فيَّ كأني خادمه.

قال يوسف وهو يتثاءب مرة أخرى:

- كيف حدث هذا؟ الدكتور مُحب شخص ودود ولا أظنه يفعل ذلك يا أحمد أرجو أن تجد بديلك فأعصابك متعبة لدرجة الإنهاك.

قلت له وأنا ألوِّح له بغضب:

- نعم أعلم هو شخص ودود، ولكن قل لي.. هل ذلك الودود من يتحرك في الخفاء وأفعاله مريبة وامتلاكه لذلك المترل بالقرية وعدم إفصاحه عن ملكيته له أم التحرك ليلًا ناحية النخل الموجود بالطرف الآخر بالممر أم تلك الورقة التي تحمل تعويذة تحضير أشد أبناء الرصد وحامي قبر الحبشي والتي وجدها بسيارته.

يبتسم يوسف ابتسامة خفيفة ثم يقول:

- اهدأ يا أحمد واحكِ لي ما تلك الأشياء الغريبة التي تقولها.

***

على مدار اليومين الماضيين قررت مراقبة محب،ومعرفة ما يفعله أو يدور في خلده، فأنا أريد إجابات لكل الأسئلة التي تدور في ذهني، فأنا على يقين تامٍّ بأن ذلك المكان يحمل الكثير والكثير من الأسرار وخاصة بعد ما سمعته من الشيخ مصطفى، ولكن في النهاية تُسمى خرافات، فالشيخ مصطفى قضى معظم عمره هنا أيضًا وهو أقدم من محب، ولكنه حتى فالأساطير من الممكن أن تكون واقعًا في الماضي، خرافات في الحاضر،هراء في المستقبل، ولكنها تبقى أسطورة أو حكاية يتوارثها جيل عن جيل.

أغلب الأوقات لا ينام هذا الرجل كثير التنقل والحركة، فصباحًا يتحرك في المطار بسيارته في كل الأماكن ولاحظت غيابه عند أماكن معينة في المطار، ما سلطته في المطار أن يدخل إلى الممر بسيارته حتى أن كان المطار متوقف عن العمل، مكوثه مع يوسف لساعات طويلة، توقفه عند محطة التموين كل يوم من الساعة 4 إلى 5 عصرًا ويا ليته يملأ وقودًا بل يدخل إلى غرفة المدير ويمكث ساعة واحدة ثم يخرج وهو يحمل لفافة غريبة الشكل ثم يذهب إلى ذلك المنزل المهجور وحين يدخل ذلك المنزل يُؤمِّن عليه الحارس كأنه بداخل قاعدة عسكرية، ويمكث فيها حتى الساعة 1 صباحًا، وحين قمت بالالتفات حول المنزل في غياب الحارس وجدتُ كل نوافذه مغلقة بإحكام ولم يتسنَّ لي رؤية أي شيء بداخله سوى ضوء ساطع كالومضة ثلاث مرات متتالية ثم يخرج محب ويقوم الحارس بإغلاق المنزل.

ينظر لي يوسف في تهكُّم وسخرية ويقول:

– أحمد هل ترى نفسك إنسانًا طبيعيًّا، وهل ترى كلامك منطقيًّا؟

إن ما تقوله ليس دليلًا على إدانة محب بشيء، فلا أرى سوى تصرُّفات إنسان طبيعي، ولا أرى منك سوى تصرفات مريض نفسي.

نظرت له في استغراب شديد وقلت له:

– أنت غبي يا يوسف، كل هذا وليس هناك ما يدعو إلى الشك والقلق، إذًا قل لي..ما تفسيرك اليوم عن صراخه لي حين هممتُ بعبور الممر وصراخه فيّ؟

نظر لي يوسف نظرة جدية وقال:

– أحمد أنت متعب نفسيًّا وعصبيًّا وهذا في المستقبل سوف يؤثر فيك، أرجو أن تتصل بزميلك محمود وتطلب منه أن يأتي إليك لتريح أعصابك.

قلت له:

– نعم سوف أستريح الآن، ولكن بعد أن أكشف الحقيقة.

نظر لي يوسف ثم أدار ظهره قائلًا:

– افعل ما يحلو لك، ولكن لا تفعل شيئًا تندم عليه، وقد يؤثر في مستقبلك.

صعدتُ مرة أخرى إلى برج المراقبة الجوية وليس في عقلي سوى ذلك المتعجرف محب حتى جلست على الكرسي وأنا أمسك بالورقة والقلم وأكتب لا أعلم ماذا أفعل وعندما انتبهت وجدت أن ما كتبته هو ما قرأته في الورقة التي وجدتها في سيارة محب.

عندما انتهى ميعاد العمل الرسمي على اعتبار أننا في وقت العمل وأن المطار في حالة تشغيل خرجتُ إلى الطريق العام حتى أستقلّ أي شيء في طريق عودتي إلى القرية، فتوقفت سيارة بها 3 جنود فسلم عليَّ أحدهم وقال:

– تفضَّل يا كابتن، إلي أين أنت ذاهب؟

فلكمه الآخر وهو يقول:

– اعذره يا كابتن فهو كزميله مجاهد مجنون لعل الله يُريحنا منه كمجاهد.

فضحكتُ وقلت لهم:

ـن مجاهد؟

فنطق الثلاثة في آن واحد وقالوا:

– زميلنا بالوحدة وهو مختفٍ أو هربان لا نعلم له وجهته.

حين وصلنا إلى القرية سألتُ الجندي الجالس بجانبي عن اسمه فقال لي.. إن اسمه صالح وهو زميل مجاهد بالوحدة ومن نفس القرية التي

يسكن بها وهما من الجنود المتطوعين، وتم إرسالهم إلى المنطقة الجنوبية في الوحدة العسكرية لحرس الحدود، وكان مجاهد يتميز بخفة الظل والمشاغبة، فكان قائد الوحدة يعتبره ابنه ولكن مجاهد كان كالابن العاق دائم الهارب من الوحدة، وتمت معاقبته أكثر من مرة حتى عاقبه الصول رضا بأن يقف خدمه على المنطقة الشمالية لبوابات المطار.

نظرت له وأنا أقول:

- المنطقة الشمالية هي منطقة الدخول الرئيسية بعد البوابة بخمسمائة متر يوجد غرفة الحجر الصحي وهي غرفة بمساحة كبيرة يسكنها الدكتور محب غير وحدة الحجر الصحي بالقرية.

صالح:

- نعم هي تلك المنطقة،وما إن ذهب هناك واختفى بعدها بأسبوع واحد وحتى الآن لم يستدل على مكانه وأصبح في عداد المفقودين، وتم إبلاغ أهله أن ابنهم مفقود، ومتى حدث ذلك قلتها لهم وأنا أنظر إليهم، فنطقوا منذ أعوام ولا نتذكر متى.

وهكذا انتهت حكاية مجاهد ولم يستدل عليه حتى الآن ولكن لماذا يظهر لي؟ أريد أن أعرف سر تلك الإشارة، وما سرُّ تلك الحرارة المنبعثة من تلك الدائرة؟!

***

(15)

في الطرف الآخر من القرية قاربت الساعة الثالثة فجرًا.

رجل ملثم يسير في الطرقات ببطء وكأنا مسئول أمنها، فالقرية الآن في سُبات عميق خالية من المارة ما عدا ذلك البيت المهجور، يقف ذلك الملثم أمام المترل ثم يسير حوله بطريقة تثير الشك لمن يراه، يسير بالطرقات مرة أخرى حتى يقف أمام المسجد وهو يقول:

- السلام عليك أيها المبروك، وأنا على العهد باقٍ، ولوعدك حافظ فأسألُ الله أن يجمعني بك على خير، وأن يكون دربك هو ما أسلكه يا ولي الله.

ثم يمضي حتى آخر طريق المسجد ثم يسلك يمينًا حتى أن وصل إلى آخر بيت من البيوت فيقرع الباب ثلاث مرات ليفتح له ذلك الرجل العجوز الباب ثم يقول:

– مرحبًا بابن العهد الجديد وأمير أهل المرصد وحامي قبر الحبشي.

يرد المُلثَّم قائلًا:

– وعليك السلام أيها الشيخ الجليل.

ثم يدلف إلى داخل المنزل ويقول:

– أيها الشيخ، لقد اقتربت ساعة الحسم والمعركة الكبرى لتحرير قبر الحبشي والقضاء على صاحب العهد القديم وتولينا زمام الأمور مرة أخرى فقد مَرَّ الكثير علينا حتى نصل إلى تلك البردية الخاصة بالابن الخامس من أبناء المرصد.

يرد الشيخ متعلثمًا:

– ولكن يا صاحب العهد الجديد بإطلاق الابن الخامس فهو إطلاق قوى الشر، وهو كما معروف هو أشد قوة من الأربعة أبناء السابقين وهو قادر علي محو مدينة بأكملها.

يرد الملثم بصوت هاديء فيقول:

– إن معركتنا ليست معركة سيف ورمح فقط، بل هي معركة حق بالعقل والمنطق كما تعلمنا من حكمة الملك الحبشي فإذا اضطررنا إلى الحرب فنحن لها،فأبناء المرصد ما هم إلا حراس صاحب البرديات الخمس.

يرد الشيخ وعلى وجهه الوجوم وهو يقول:

- يا صاحب العهد أنا لم أفهم شيئًا، فالأسطورة تقول: إن الملك الحبشي قد أخفى البردية الخامسة الخاصة بالابن الخامس، وذلك أن دَلّ فهو يدل على أن قوة الابن الخامس في تلك البردية هي قوة مطلقة تحمل الشر.

رَدَّ المُلثَّم وقال:

- ومن قال لك إن الابن الخامس هو قوة الشر المطلق؟ ألم أقل لك إنك لا تعلم ما الحكمة فيما فعله الملك الحبشي حين أخفى البردية الخامسة، أيها الشيخ الجليل عندما منح الملك الحبشي تلك البرديات الخمس من كبار كهنة المعبد القديم كانت تعدُّ تكريمًا وإعطاءه زمام المسئولية الكاملة لحكم مملكة الجنوب، فلكل بردية قوة معينة متمثلة في عناصر النفس البشرية ولكن مكتوبة في برديات بتلاوات معينة حين يقولها مالك تلك البرديات تصبح قوة أبناء المرصد معه.

يرد الشيخ ويقول:

- إذًا قل لي: ما الحكمة في أن يتم إخفاء البردية الخامسة من قبل الملك الحبشي؟

يرد الملثم بجمود ويقول:

- لقد كثرتُ أسئلتك أيها الشيخ العجوز، ولكن دعني أُجبْك حتى لا تسأل مرة أخرى ولا نخرج عن مضمار ما جئت لأجله.

حين تولى الملك الحبشي حكم المنطقة الجنوبية تم تعيينه من قبل كبار كهنة المعبد لِمَّا توسموا به من خير فقد رأوا أنه الأحق بتولي الحكم عن أخيه وهو الوزير الأمين، ولذلك قبل حفل التنصيب الملكي له تم الاجتماع به وإعطائه ذلك الصندوق العاجي وهو يحتوي على البرديات الخمس لأبناء الرصد الحاميين للمملكة وأبلغوه بماهية كل بردية فيها، قرَّر الملك الاستغناء عن البردية الخامسة وهي أقواهم حتى لا تقع في أي أيدٍ آثمة تضرُّ بمصلحة الشعب والمملكة فحين احتلّ الفرعون الأكبر جزءًا من مملكة الجنوب عقد الملك الحبشي اجتماعًا مع قادته للبتِّ في أمر الحرب على الفرعون الأكبر واستعادة الجزء المسلوب من المملكة وحين انتهى الاجتماع دخل إلى غرفته الخاصة بعد أن شعر أن الوزير الأمين يُخفي شيئًا حين طَلب منه الاستعانة بكهنة المعبد حتى يكون النصر حليفهم، فقرَّر إخفاء البردية الخامسة ووضعها مع واحد من خدام القصر حتى لا تقع في أي أيدٍ في حالة وفاته في الحرب.

وحين التقى الفريقان في أرض المعركة كان يسانده حراس المعبد وهم عشرة حراس قوّتهم ليست كقوة رجل محارب عادي بل كانت قوة عشرة جيوش متمثلة في عشرة أشخاص، وهنا بدأت المعركة

وكانت على أشُدِّها حتى تم أسرُ أحد قواد جيش فرعون الأكبر وهي ابنته ميس، وحين علم الفرعون بأسر ابنته الوحيدة المفضلة إليه قام بالانسحاب وإرسال رسالة إلى الملك الحبشي حتى يُقايضه على حرية ابنته مقابل التنازل عن الأرض المُتنازَع عليها، وكعادة الملك فضل الحكمة والبصيرة في ذلك الأمر وحين اجتمع بقادة جيشه وكهنته وعرض عليهم الأمر وأنه وافق على ذلك غضب بشدة الوزير الأمين، وهذا ما آثار الريبة في نفس الملك الحبشي، فقرر قبول تلك الهدنة ووافق على الشروط، وأرسل ابنة الفرعون الأكبر إليه مُعززة مكرمة، وليست كأسيرة حرب.

وبعد عدة أشهر قام الوزير الأمين والكاهن الأكبر بخيانة الملك الحبشي حين اختطفوا قافلة ابنه الفرعون الأكبر وأسرها وحين قام بالاستعانة بحراس المعبد اختفى الوزير الأمين والكاهن معًا، وهنا قام الملك الحبشي بإخفاء الصندوق في مكان لا يعلمه إلا هو وهو في دائرة مقبرته، وحين تُوفِّي تم تشييع جثمانه من قبل أبناء المرصد وهذه هي القصة الحقيقية لتلك البرديات، فتلك البرديات تتشكل على حسب من يمتلكها.

قال الشيخ:

- إذن ما أخبرت به أحمد المراقب الجوي هو صحيح بعض الشيء.

نَظَرَ له الملثم بغضب شديد ثم قال:

– ومن سمح لك أيها الشيخ أن تحكي ما تعرفه إلى غريب عنا أفلا تعلم أنك بذلك قد ورطته في عهدنا وأصبح جزءًا منه؟ يا لك من شيخ خرفٍ! انتبه لأن في حالة وفاة ذلك الشخص سوف تنقلب لعنة روحه عليك، وعلى نسلك من بعد أن كان لك نسل.

نظر له الشيخ بأسف شديد وقال:

– ولكن ما قلته هو حكاية عادية عن أسطورة، وليس بها أي شيء، فهو من أتى إليّ ومعه البردية الخامسة التي عثر عليها محب.

الملثم:

– أيها الشيخ لا تجادل في الخطأ كونك أفشيتَ سِرَّ تلك البرديات لذلك الشخص،فقد وضعتَه في مأزق شديد وخطر قد يودي بحياته، فسوف يكون هو الشاهد الوحيد على المعركة الكبرى بين أبناء المرصد الأربعة والخامس والتي حتمًا ستنتهي باحتراق البرديات الخمس، وانتهاء أسطورة قبر الملك الحبشي واستلام العهد الجديد لي مع حماية تلك المنطقة الجنوبية وكنوزها بالكامل، فانظر أنت ماذا فعلت؟

قام الملثم من مكانه ثم نظر إلى الشيخ وهو يقول له:

– استعد فقد بدأ العدُّ التنازلي للمعركة الكبرى.

سار الملثم مرة أخرى في اتجاه العودة ثم قال:

- أيها المبروك لقد اقتربت ساعة الحسم، اقتربت المعركة الكبرى، ولكني أخشى من تلك البردية الخامسة أن تكون نُسخت مع أحد قوى الشر فتنقلب المعركة علينا، ويصبح قبر الحبشي مباحًا أو ينقلب علينا ذلك الخامس، فلا أعلم ماهيته إلى الآن، ولكني أعلمُ أن الحبشي قد ترك تحذيرًا من استخدام تلك البردية الخامسة.

اختفى الملثم من طرقات القرية ولكن على ما يبدو أنه لم يكن وحده بل يوجد مَن يراقبه في خفاء، وحين يدقُّ الشفق في السماء يظهر ذلك الشخص، ولكن من داخل مسجد الشيخ المبروك.

***

(16)

في قديم الأزل وبالتحديد منذ 50 عامًا كان يوجد رجل كبير في السن يُدعى الشيخ المبروك أو كما أُطلق عليه أهل المكان قبل أن يهجروه، رجل تقي نقي صاحب بصيرة وحكمة كان وأهله من حراس تلك القرية كان الناس تأتيه من كل مكان حتى تستشيره في أمور مهمة، وكان على علم واسع، فهو ابن الشيخ العارف أشهر شيوخ المنطقة الجنوبية لمصر، وأشهر حراس قبور الفراعنة والقدماء في ذلك الوقت، وقد ورث الشيخ المبروك تلك المهنة عن أبيه ولكن بحرفية أكثر، وعلم أوسع، وظلّ الشيخ المبروك هو ملاذ كل من يأتي إليه حتى جاءهم ذلك الشاب مصطفى من إحدى قُرى صعيد مصر، شاب مفعم بالحيوية والنشاط، أحبَّه الشيخ المبروك كثيرًا، فكان للمبروك من البنات 5 حتى زوجه إحداهنَّ.

في إحدى الليالي المقمرة طلب الشيخ المبروك من مصطفى أن يأتي معه في مهمة ناحية طريق يربط بين مدينتين ذلك الطريق لا يستطيع دخوله إلا دليل صحراوي حافظ لكل الدروب، أخذ المبروك هو ومصطفى حصانهما ثم بدآ الرحلة.

مصطفى:

– أيها المبروك إلى أين أنت ذاهب بنا؟

المبروك:

– سِر معي يا مصطفى ولا تسأل أو تلتفت خلفك فلا مجال للتراجع الآن.

ضحك مصطفى ثم قال:

– وهل هناك ما سوف يأكلنا.

نظر له المبروك في تودد وقال:

– يا بني أنصت لي أنت من بعدي وأنا رجل عجوز فتحملني تلك الأيام المعدودة واتبعني دون أي كلام.

مصطفى:

– حاضر أيها المبروك طلباتك أوامر وسيف على رقبتي، أطالَ الله في عمرك.

نظر له الشيخ المبروك وقال:

- أتعلمُ يا مصطفى تلك المنطقة التي نحن بصدد الذهاب إليها هي منطقة مشهورة.

فقاطعه مصطفى:

- أهو مكان تم تصوير أحد الأفلام به يا شيخ؟

نظر له المبروك في تودد وقال:

- يا مصطفى تلك المنطقة شهدت أعظم حروب التاريخ، التي بخسها المؤرخون حقَّها، في وجهة نظري هي معركة الحق مع الباطل.

نظر مصطفى باهتمام شديد وقال:

- ما هي يا شيخ بالله عليك؟ لقد أنهكني السير وتوقف عقلي عن التفكير.

المبروك:

- يا بني معركة الجنوب من أشهر المعارك القديمة وكانت بين الفرعون الأكبر المغتصب جزء من مملكة الجنوب والملك الحبشي الذي نحن بصدد حراسته، تلك المعركة كانت بين أقوى جيشين في ذلك الوقت، قُتل من قُتل وأُسر من أُسر حتى استردَّ الملك الحبشي الجزء المسلوب من مملكته ثم جاءته الفرصة الذهبية ليضع الفرعون الأكبر وجيشه تحت سيطرته وهو آسر ابن الفرعون الأكبر وإحدى

أهم قواد جيشه، واضطر الفرعون إلى قبول الهدنة حتى يسترد ابنه، وبذلك استرد الحبشي مملكته بالكامل بمعاونة أبناء المرصد.

نَظَرَ له مصطفى في تعجُّب وقال:

– وكيف لك أن تعرف كل هذا أيها المبروك؟

فضحك المبروك وقال:

– لا تنسَ أني ابن الشيخ العارف أشهر حراس قبور الملوك والفراعنة وفقيه الدين الوحيد للمنطقة الجنوبية.

***

بعد ساعتين من المشي المتواصل ملَّ مصطفى من السير وكأنه يسير على قدميه، ولكنه صامت تنفيذًا لتعليمات الشيخ المبروك وحين قطعنا مسافة ليست بقليلة توقف الشيخ المبروك عند بيت مهجور معظم جدرانه مهدمة لم أتبيَّن ما داخل المترل حتى هبطنا من أعلى أحصنتنا ثم نظر لي المبروك ثم قال: اتبعني.

نظر الشيخ المبروك إلى ذلك المترل المُهدَّمة جدرانه ثم قال:

– أتعلم يا مصطفى ماهية ذلك البيت؟

مصطفى:

– بالتأكيد هو للملك الحبشي اليس ذلك صحيحًا.

ضحك المبروك ثم قال:

– أصبت للمرة الأولى منذ تحركنا ذلك المنزل الذي أسر من خلاله ابنة الفرعون الأكبر وانقلبت المعركة عليهم.

قال مصطفى:

– ما لي أنا وما لتلك الهراءات يا شيخ؟ أنا منهك للغاية.

نظر له الشيخ ثم سار إلى المنزل حتى وقف على بابه، تتبعتُ خطواته وأنا قلق بعض الشيء فنحن بعدنا كل البعد عن قريتنا ولا أعلم لماذا طلب مني المجيء، ولكني على يقين أن في الأمر خير فأنا أثق بذلك العجوز ثقة عمياء، حتى وقف أمام الباب وقال بأعلى صوت:

بسم الله الحافظ المانع من كل ضرر، بسم الله المعين السميع العليم، بسم الله القوي المانع. بسم الله رب العباد ورب المشرقين، لا إله إلا هو الحي القيوم.

وقف مصطفى خلف الشيخ المبروك وهو مذهول وهو يقول له:

– أيها الشيخ ما بك؟ ألسنا بصدد دخول ذلك المنزل، فلندخل من أي اتجاه، فالمنزل مهدمة جدرانه، فلماذا نقف على ذلك الباب.

نظر له الشيخ المبروك وقال:

- يا بني قلت لك ألَّا تتعجل، ولكني سوف أُريحك، ولكن قبل أي شيء اذهبْ إلى أحد الجدران المهدومة وضع يدك فيها وقل لي بماذا تشعر؟

وبالفعل قام مصطفى باتجاه أحد الجدران ووضع يده بداخله حتى أزاحه بسرعة شديدة كمن لدغه عقرب أو حية صحراوية شديدة السمية ونظر إلى الشيخ المبروك ثم قال:

- بسم الله الحفيظ، ما هذا أيها الشيخ بالله عليك؟

ضحك الشيخ المبروك ثم قال مازحًا:

- صف لي ما شعرت به الآن أيها الشاب الأهوج؟

نظر مصطفى إلى يده وأخذ يتحسسها وكأنه يُزيح شيئًا ما من عليها وقال:

- عندما وضعتُ يدي شعرت بأنها تخترق شيئًا هلاميًّا لا أعلم ما هو وكأني أدخلها في مُولّد كهربائي.

فتح الشيخ المبروك الباب ودلف إلى داخل المنزل ثم نظر إلى مصطفى وأمره بالدخول، وحين دخل مصطفى شعر بشيء ما يغطي جسمه كأنه مَرَّ من خلال جسم هلامي، وذلك الذي استشعره عندما مَدَّ يده كما أمره الشيخ المبروك وحين دخلوا همَّ صوت نسائي ناعم

بقول: مرحبًا بك أيها المبروك، لقد انتظرتك طويلًا، أرجو أن يكون انتظاري بفائدة.

المبروك:

– جئتك اليوم بنبأ طال انتظاره لكي تسمعيه يا مليكة.

مليكة:

– أاااااه لم أسمع ذلك الاسم منذ فترة طويلة تعود إلى آلاف السنين، فحين تم وضعي لحراسة تلك الأمانة لم أسمع أحدًا يناديني باسمي.

المبروك:

بسم الله الحافظ المانع من كل ضرر، بسم الله المعين السميع العليم، بسم الله القوي المانع، بسم الله رب العباد ورب المشرقين والمغربين، هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، يا ناصر المستضعفين ويا قاهر الأقوياء، باسمك اللهم أبدأ، وباسمك اللهم أنتهي، اظهري يا مليكة، وأظهري ما لديك وليبدأ باسمك اللهم العهد الجديد لمصطفى ولدي وحامل رايتي من بعدي.

ينظر مصطفى إلى المبروك بذهول وخوف ولسانه غير قادر على الكلام ولا النطق، أي عهد يتحدث عنه ومن تلك الفتاة إنسية كانت أم جنية وما هذا، اللعنة! من صاحب العهد الجديد؟ وما الراية؟

يصرخ مصطفى بشدة في الشيخ المبروك ويقول له:

– أيها المبروك ما هذا؟ مَن صاحب العهد الجديد؟ وما الراية؟ ومَن تلك الفتاة؟ أجبني، أااه! عقلي، لا، لا، لا، ماذا يحدث هنا؟ وما الذي جاء بي إلى هنا؟

ينظر له المبروك بجدية لم يعهدها منه من قبل جعلت الرعب يدبُّ في قلبه ثم نظر المبروك مرة أخرى إلى مليكة التي تجسَّدت في صورة فتاة حسناء شديدة الجمال ذات شعر أسود أدكن يصل إلى خصرها، وبشرة شديدة البياض تكاد تُضيء لمن حولها، فتمشي على مهلٍ إلى بقعة في منتصف المترل ثم تتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة حتى تتحول تلك البقعة إلى غبار شديد يصل إلى عنان السماء، استمر حوالي ثلاث دقائق حتى انقشع الغبار وظهر ذلك الصندوق العاجي حتى مالت مليكة والتقطته ثم نظرت إلى الشيخ المبروك وأعطته ذلك الصندوق، وقالت له: تفضَّل أيها المبروك يا صاحب العهد القديم سلِّم رايتك لحامل الصندوق الجديد وبلِّغه أن مليكة سوف تكون بالجوار حتى تحميه من أطماع أهل الشَّرِّ والدمار

نظر المبروك إلى مصطفى ذلك الشاب الذي أتى من قريته بصعيد مصر، شاب يافع مفعم بالنشاط والحيوية نظرته للحياة تختلف عن باقي أبناء جيله حتى مبادئه وقد زوَّجه إحدى بناته وهي الكبرى والمُقربة من قلب المبروك، قال المبروك بصوت هادئ وهو يمسك الصندوق العاجي:

- يا مصطفى، أعلمُ أنك أن في ذهنك الكثير من الأسئلة، وأعلم أنك لم تكن تريد ذلك، ولكني أثق بك وأضعك في مترلة ابني، فأرجوك أنصت إليّ جيدًا لأن ما أنت مُقبِل عليه هو لمهمة عظيمة، ولكن سوف تربطك بذلك المكان إلى الأبد وأنت آخر عهد جديد من أهل بيتي لذلك أعرني انتباهك جيدًا واسمعني.

أنا الفقير إلى الله، المبروك ابن الشيخ عارف وحارس مقبرة الملك الحبشي، ملك مملكة الجنوب، أنا صاحب العهد القديم و..

قاطعه مصطفى سريعًا وقال:

- ما هذا؟ وما الذي تقوله؟ لقد أيقنتُ أن نهايتي سوف تكون على يدك لا على يد ابنتك، ما الذي إلى هنا.

ضحك الشيخ المبروك وقال: اصمت قليلًا يا مصطفى، دعني أتحدث إليك، الأمر مهمٌّ جدًّا فلا تعكسه إلى مزاح.

تدخل مليكة وتقول:

- يا مبروك باقي من الوقت خمس دقائق لتسليم العهد الجديد إلى مصطفى، واعلم إن فاتت تلك المدة فسيكون الصندوق بقبر الحبشي مُباحًا.

ينظر المبروك إلى مصطفى سريعًا ثم يقصُّ عليه سريعًا قصة الملك الحبشي بتفاصيلها حتى يتوقف عن الكلام ثم ينظر إلى مصطفى ويقترب منه ويمسك يده وهو يقول:

– أنت الآن الأمين على ذلك الصندوق، إياك ثم إياك يا مصطفى أن يفتحه أحد أو يستولي عليه بشري.

يردُّ مصطفى ويقول:

– كيف لي أن أكون حاميًا على شيء وأنا لا أفقَهُ عنه شيئًا.

يرد المبروك:

– عندما ترجع إلى المترل اسأل رقية زوجتك عمَّا تركته لك معها وأنصت جيدًا، الزمان والمكان يُغيِّران ولكن العهد باقٍ على مدار الزمن، يأتي زمان عليك لن يكون من نسلك شيء ولن يعرف أحد عن حياتك الشخصية شيء، ولكن سوف يأتي إليك صاحب العهد الجديد من غير دمنا أو طباعنا فإذا أتاك ساعده بالقدر الذي يفتح له مفاتيح القدر.

ثم انسحب وشاهد من بعيد بدايات المعركة الكبرى وانتظر إشارة مليكة للرحيل.

أمسك المبروك بيد مصطفى بقوة شديدة ثم قال:

- باسمك اللهم نبدأ عهدنا الجديد، باسمك اللهم القوي المعز للمؤمنين المذل للجبابرة والأشرار، باسمك اللهم إني أشهدك أن عبدك مصطفى بن عبد الله هو صاحب العهد الجديد.

ثم نظر إلى مصطفى وأعطاه الصندوق وخلع السبحة الخضراء ثم ألبسها له ثم نظر له مرة أخرى وقال:

- اخرج من ذلك الباب ولا تنظر خلفك نهائيًّا.

مصطفى:

- ألن ترجع معي أيها المبروك فبناتك ينتظرنك.

نظر لي ضاحكًا وقال لي:

- في أمان الله يا بني، اذهب الآن.

نظر المبروك إلى مليكة قائلًا:

- أتظنين أن مصطفى قادر على تحمل المسئولية؟

نظرت له مبتسمة ابتسامة خفيفة قائلة:

- دعه الآن يأخذ حظه من الدنيا كما أخذت أنت، ولا تقلق من شيء، فجميع الأمور محسوبة من قبل مجيئك.

فتح مصطفى الباب ثم ركب حصانه ولكنه لم يرَ حصان المبروك فأخذ الصندوق ثم أخذ الطريق ركضًا بحصانه حتى رجع إلى المنزل فوجد رقية في كامل زينتها، فنظر لها نظرة حانية حتى اقتربت منه وعانقته وقالت له:

– مرحبًا بك يا صاحب العهد الجديد، لقد أكمل أبي المبروك مهمته ثم جاء وقتك، واعلم أن أبي نظرته لا تخيب أبدًا.

قال لها مصطفى:

– إذًا أنت تعلمين يا رقية ما يدور وتخفين عني أنا زوجك.

قالت له رقيه في حنان:

– يا زوجي الحبيب نحن بنات العهد القديم وأنا أكبرهم ابنة المبروك، وتعلم أن من على العهد لا ينبت به طوال حياته، ولكنك الآن زوجي وصاحب العهد الجديد ووجب عليَّ الإنصات لك وتنفيذ ما تأمرني به.

قال مصطفى بحدة مبالغ فيها:

– أنا لم أطلب ذلك، ولم أكن أريد ذلك والمبروك خدعني وأعطاني ما لا أقوى عليه، واكتشف أنك طوال فترة زواجنا تخفين عني سِرًّا خطيرًا كهذا فأي حياة تلك.

قالت له رقية:

– تعالَ معي يا زوجي الحبيب يا صاحب العهد الجديد، لقد حان الوقت أن تأخذ ما كان يمتلكه المبروك.

نظر لها وقال:

- أيوجد شيء غير ذلك الصندوق؟

دلفت رقية إلى داخل غرفة المبروك الموجودة بالمنزل التي كان محرمًا على أحد دخولها، ثم خرجت بعد 15 عشر دقيقة ثم خرجت تحمل كتابين ومذكرة، يظهر أن ذلك الكتابين أثريين يحملان حروفًا مختلفة إلى جانب المذكرة الخاصة بالمبروك.

وضعت رقية ما تحمله على المنضدة أمام مصطفى ثم قالت له:

- هذا ما أوصى به المبروك لك يا صاحب العهد الجديد.

قال مصطفى:

- قبل أي شيء أريد أن أعرف ما تلك الكتب؟ وما فحواها؟ وما تلك اللغة المكتوبة عليها؟ وما تلك المذكرة القديمة أخبريني؟ فأعصابي بدأت بالانهيار جراء ما رأيته.

ضحكت رقية ثم قبلته على وجنتيه ثم قالت:

- الآن قم استرح ونل قسطًا من الراحة، وحين تستيقظ سوف تفهم وحدك كل شيء والآن نم واسترح.

يدخل مصطفى إلى غرفته فيستلقي على سريره ويدخل في سُبات عميق حتى يأتيه الشيخ المبروك في المنام ويُقرئه السلام ثم يقول:

- السلام عليك يا صاحب العهد الجديد، الآن أتممتُ مهمتي وسلمتك الراية الكبرى، معك ما يكفي لتعلم ما أنت مقبل عليه، واحذر أن تفقد أي شيء، فالمتربصون كثيرون وقبر الحبشي يحتاج إلى يقظة، حافظ على ما معك من أمانة حتى تحين اللحظة الكبرى وتستريح مثلي تمامًا.

***

(17)

بعد أن تحدثتُ مع الجنود وفي طريق عودتي إلى استراحتي، جاءتني مكالمة هاتفيه خففت حدة اليوم بعض الشيء، أسمعُ صوته يضحك وأنا في قرارة نفسي أقول:

هل ستكون تلك آخر مرة أسمع فيها صوتك يا إياد أم هو محض خيالي المريض.

زوجتي:

– كيف حالك زوجي الحبيب اليوم ومتى تعود إلى البيت؟

أجبتها وقلت:

– إن شاء الله في خلال خمس أيام سوف أكون موجودًا بالقاهرة.

زوجتي:

- أحمد قل لي بالله عليك ما بك؟ أرجوك، فعلى غير عادتك لم تُهاتفني كم عاهدتك في المطارات السابقة تكلمني كل يوم تقص لي كيف سار يومك، تغييرك يقلقني بشدة، أرجوك صارحني.

قلت لها:

- نيرمين بالله عليكِ لا يوجد أي شيء هي ظروف أمر بها في ذلك المطار ليس أكثر، وإن شاء الله خلال خمسة أيام سوف أكون في القاهرة.

قالت لي زوجتي في عصبية واضحة:

- إذًا كلام زوجة محمود صحيح، والآن تيقنتُ من ذلك، وأرى أنك تُخفي عنيّ شيئًا ما، فقل لي ما هو؟

زفرتُ زفرة طويلة ثم قلت لها:

- ما قالته زوجة محمود؟ أتريدين شجارًا اليوم وأنا لستُ أهلًا لذلك؟ أغلقي الخط يا نيرمين الآن فلست في حاله مزاجية تسمح لي بالحديث والشجار.

وأغلقت الهاتف وأنا ألعن حظي الذي قادني إلى هذا المكان القبيح، الساعة تقارب السابعة مساء، ولكن في ذلك المكان يجعلك تشعر أنك في ظُلمة القبر، قبر كبير على هيئة قُبَّة سماوية دون سحاب أو مطر أو نجوم، 100 متر واصل إلى الاستراحة إذ فجأة ينقطع النور

بالكامل عن القرية وهي أول مرة تحدث منذ أتيتُ، الاستراحة أمامي لم أبرح مكاني حتى سمعتُ صوتًا مألوفًا حتى فتحت كاميرا الهاتف الخلفي فإذا بي أرى أبي وسط كمٍّ هائل من العقارب السوداء تحيط بي، لم أستطع الحركة أو التفوُّه بأي كلمة ولكني وقفتُ جامدًا كصخرة في نصف الطريق تمر العقارب من فوق رجلي ولا أستطيع التحرُّك، ولكن من داخلي بدأتُ ألا أشعر بأي رهبة أو خوف، بل قررت التحرك، نعم سوف أتحرَّك، وبالفعل بخطوات مُتثاقلة أخذت بالتحرك بهدوء شديد حتى عادت الكهرباء مرة أخرى، وهنا أيقنتُ أنها مجرد تهيؤات.

وعلى الفور أخذتُ طريق عودتي إلى المترل حتى توقفتُ فجأة ليد تمسكني من الخلف، فالتفتُ بسرعةٍ شديدة حتى سقط صاحب اليد فتبينته فإذا هو الشيخ مصطفى فنظرتُ له في غضبٍ شديدٍ وقلت:

– يا شيخ مصطفى، ماذا تفعل هنا؟

نَظَرَ لي الشيخ وهو ينهض ويعدل من نفسه ويقول:

– جئتُ لكي أطمئنَّ عليك، فالقرية خاوية على مدار اليومين القادمين،فأغلب الموجودين سوف يغادرون في إجازة إلى مُدهم فجئتُ حتى أراك.

قلت له:

- إذن تفضل معي في الاستراحة لكي نحتسي أحد المشروبات التي لم ألمسها منذ مجيئي إلى هنا،فأنا أريد أن أتحدث إليك، وأخذ مشورتك في عدة أمور.

قال الشيخ مصطفى ضاحكًا:

- إذًا سوف يكون وجبة العشاء إلى جانب المشروب برعايتك يا بني.

قلت له:

- بالتأكيد يا شيخي الجليل إنه لمن الشرف أن تجلس معي.

ثم أخذنا الحديث حتى وصلنا إلى باب الاستراحة، ما هذا؟ ما تلك الرسومات؟ لم تكن موجودة من قبل، نظرتُ إلى الشيخ في تعجُّب، ولكني لاحظتُ نظرات عين الشيخ الجاحظة ومنظر فمه المفتوح على مصراعيه كأنه رأى شبحًا، فنظرت إليه ثم قلت:

- سوف آخذ جولة أتفقّد المكان فمساحته لا تتعدى 300 متر وهو حجم الاستراحة مقسمة إلى بيتين.

فأخذتُ في الالتفاف حول المنزل دون الالتفات ورائي، ولكني لم أعلم أن الشيخ مصطفى ما زال واقفًا في مكانه، ولم ينتبه لي فوجدته يُتمتم بكلمات غريبة لم أنتبه إلى كلمة مليكة فقط.

صحتُ فيه وقلت:

- يا شيخ مصطفى، يا شيخ مصطفى.

انتبهَ لي ثم قال:

- ماذا هناك يا أحمد، ماذا وجدت عندك؟

قلتُ له:

- تلك الرسومات مرسومة في كل أركان الاستراحة من الخارج على الواجهة ومن الخلف.

قال لي:

- تعالَ يا أحمد ندخل إلى الاستراحة.

حينما دلفنا إلى داخل الاستراحة وادرت مفتاح الكهرباء تفاجأت بان تلك الرسومات مرسومه علي جدران الاستراحة من الداخل ومكتوب على مرآة الحمام اسمي ولكنه باللون الأحمر القاتم كأنه لون الدم ومكتوب

"يا من نبشت في أوراقي وفتحت بابي انتظر عودتي".

نظرت إلى الشيخ مصطفى وقال لي وهو يحاول إخفاء معالم الخوف والرهبة:

- ما هذا المزاح السخيف؟

- تعالَ يا بُني خذ حقيبتك ولَمْلِمْ أوراقك وأشياءك وتعالَ معي إلى منزلي.

قلت له:

- بالتأكيد هذا من أفعال الشيطان محب، قلتُ لكم؟؟ إن هذا الرجل وراءه سِرٌّ عظيم يُخفيه، يا شيخ مصطفى صدقني ذلك العجوز مُحب تحركاته وتصرفاته غير طبيعية، أرجوك صدقني وسوف أثبت لك بالدليل.

نظر له الشيخ مصطفى وقال:

- اهدأ يا أحمد، وجمِّع أشياءك وتعالَ معي الآن إلى منزلي.

- لا يا شيخ مصطفى لن أبرح مكاني ولن أذهب إلى أي مكان ولكني سوف آتي إليك بالدليل.

***

يخرج الشيخ مصطفى من المنزل إلى الطريق وهو يفكر في كلام صاحب العهد الجديد وما شاهده عند المراقب الجوي عندما نظر خلفه مرةً أخرى إلى مقر الاستراحة،وجد أن الرسومات كلها اختفت حتى سار حول الاستراحة، فوجد أن الرسومات قد اختفت، إذًا هذه هي إشارة البداية.

قال الشيخ مصطفى وهو يُحادث نفسه بصوتٍ واضح:

– إن للمعركة الكبرى علامات لا بد من أن أطّلع عليها حتى أتأكد ولا يلتبس عليَّ الأمر، ولكن صاحب العهد الجديد قال لي.. إن المعركة الكبرى على وشك البدء ولكن لم يقل لي عن ظهور مليكة.

في هذه الأثناء كان يوجد من يراقب الشيخ مصطفى بحذر شديد حتى دخوله لمنزله.

***

(18)

أغلق أكمل المُذكّرة السوداء ثم قام من جلسته وهو يفكر ويقول:

- الموضوع الآن ليس حريق مطار أو اختفاء شخص، بل من الواضح أن الموضوع أكبر من أي شيء، نعم كيف كل هذا يحدث على مدار شهر كامل وهل المراقب صادق أم كاذب؟ توجد عدة احتمالات جميعها قابل للطرح والنقاش حتى وإن ظننت أنه وراء ذلك الحادث فكيف له أن يفعل تلك الأشياء وحده وأصبح المطار مهجوراً؟ وما صحة ما مكتوب في تلك المذكرات؟ إن ما يقوله مُنافٍ تمامًا للعقل والمنطق وأيضًا للدين، الشيخ مصطفى والدكتور محب والمبروك وأسطورة الملك الحبشي، كل ذلك هراء ولا أساس له من الواقع ولكن ما يهمني هنا هو أن أغلق تلك القضية بأي شكل.

يقف أكمل وعلى وجهه علامات الحيرة والتعجب فأمسك علبة السجائر وقام بإشعال سيجاره بطريقةٍ عصبية، ونادى سعيدًا وقال:

– يا سعيد بيك يا سعيد بيك، أين أنت؟

فيدخل عليه أحد جنوده ويقول:

– سعيد بيك خرج للبلدة المجاورة.

فينظر له أكمل ثم يأمره بالانصراف.

– سوف أذهب للسير قليلًا حتى لا أصاب بخنقة أكثر ما أنا فيها.

يرنُّ جرس الهاتف فيخرج أكمل فيرى اسم أحمد ناصر خبير الآثار فيرد على عجلٍ ويقول:

– أحمد بيك يا صديقي، كيف حالك؟

ضحك أحمد، وقال:

– أكمل بك صديقي ملعون ذلك اليوم الذي جمعني بك يا عزيزي.

ضحك أكمل بشدة فلأول مرة يخرج أحمد عن وقار الحديث معه فقال له: قل لي:

– هل هناك أي جديد عمّا أرسلته لك من صور؟

فسكت أحمد لبرهة ثم قال:

- نعم ترجمته ولكن..

فعاجَلَه أكمل، وقال:

- ولكن ماذا تكلم يا أحمد وقل لي فأنا أثق بك وبرأيك وكلامك.

قال أحمد:

- أعرني انتباهك، ما سوف أقصُّه عليك هو درب من دروب الجنون، ولكن لا بد أن تعرف كل شيء بالتفصي، أنت فقط لا أحد غيرك حتى لا يتهموك بالجنون.

قال أكمل:

- إذًا تكلم، وأنا مُنصت لك أريد أن أعرف كل شيء بالتفصيل، أريد أن أفهم كل ما يدور حولي يا أحمد، القضية صعبة جدًّا، قتل واختفاء وحرق وأشياء خفية أخرى لا أعلمها، فأرجو منك أن تحدثني بكل صراحة حتى لو كان ما تتكلم به هو ضرب من الجنون.

قال أحمد:

- انتظر يا أكمل معي ثواني معدودة، سوف آتي بالورق والصور أمامي، فقد طبعتها حتى يتسنى ليك قراءتها لك.

قال أكمل بزفرة ضيق:

– تعجَّل يا أحمد ولا تكن بطيئًا.

قال أحمد:

– دعني أبدأ بصور المنزل الذي أرسلته لي وأحب أن أقول لك إن هذا المنزل ليس أثريًا ولا أسواره حتى ذلك المنزل كان ملكًا لرجل أعمال إنجليزيًا اسمه آدم منذ أكثر من ثلاثين عامًا، كان آدم الكبير كما كانوا يُطلقون عليه هو أكبر تاجر آثار، وهو رقم 1 على مستوى تجارة الآثار الفرعونية، وأغلب الآثار التي يعثر عليها هو مجموعته كانت تهرب عن طريق الشريط الحدودي حتى تُوفي آدم في ظروف غامضة، وكبر ابنه جون، وصار مثل أبيه، ولكن جون كان أذكى من والده بمراحل، فحين عرضت الحكومة المصرية على المستثمرين الأجانب أراضي للاستثمار كان النصيب الأكبر لجون آدم المستثمر الإنجليزي الشهير وعندما عرضوا عليه أماكن الأراضي أبدى رغبته في تملك منطقة الجنوب بالكامل حتى الشريط الحدودي، ولكن تم قبول طلبه بالرفض وحتى لا تخسر الحكومة المصرية مستثمرًا مثله فقررت أن تضع أرض تلك المنطقة بالكامل كحق انتفاع علي مدار عشر سنوات قابلة للتجديد، فقَبِلَ جون ذلك الاتفاق، ولكن بشرط أن يكون عمال تلك المزرعة كما كان يُطلق عليها هو مَن يختارهم.

يرد أكمل ضجرًا ويقول:

- أحمد ما لي أنا وما لتلك الحكايات؟ أريد المفيد أرجوك، فعقلي يوجد به الكثير والكثير ولا يتحمل الدخلاء.

قال أحمد:

- يا أكمل انتظر واسمع الباقي، جون آدم كان مُولعًا بالآثار الفرعونية وليس لغرض التجارة فقط رسم على سور المنزل نقوشًا تقول:

"هذا المنزل ملك لخادم الملك الحبشي وغير مسموح لأحد بالاقتراب، وإلا لعنك أبناء المرصد حماة الملك الحبشي".

ثم استرد أحمد القول وقال:

- أكمل بيك أتتذكر حادث فقدان الطائرة في تلك المنطقة وعدم العثور على جثة جون آدم أو ابنه المُدلَّل سميث؟

قال أكمل:

- نعم أعرفها، فكنت منذ ثلاث ساعات مضت اقرأ في تلك الحادثة ولا يوجد أي تفسير منطقي أو علمي لها سوى ما تم قرأته في التحقيقات.

قال أحمد بسرعة شديدة:

- بل هي لعنة الفراعنة لكل من حاول سرقه ممتلكاتهم وآثارهم و..

أكمل يقاطعه بشدة:

- أحمد كفاك هراء فأنا أريد ترجمة ما أرسلته لك.

قال أحمد بغضب شديد:

- حاضر يا أكمل بك، ولكن تذكر أن تلك الخدمة الأخيرة لك.

قال أكمل بصوت جاد:

- أكمل حديثك يا أحمد، فليس لدينا وقت لهذا.

قال أحمد:

- الآن نأتي إلى صور البرديات التي أرسلتها ولكن يؤسفني أن أقول لك إن تلك البرديات مزيفة، ولكن فيها بعض الكلمات في كل بردية تدلُّ على هويتها، ولكن غير مؤكدة.

أكمل:

- إذن قل لي عن هوية تلك البرديات المزيفة، وكيف تحققتَ من حقيقة تلك البرديات أنها مزيفة؟

أحمد:

- يا أكمل بيك مهما أقُلْ لك فهي أشياء علمية يطول شرحها، ولكن بعض الرموز الموجودة في تلك البرديات الأربع الموجودة تدلُّ على أنهم حراس قبر الملك الحبشي، والتي لم يُستدل عليه إلى الآن، ولكنه موجود بإحدى المناطق الجنوبية للبلاد، أما البردية الخامسة فهي

غير واضحة المعالم غير كلمة قناع النار وهذه هي المرة الأولى التي أرى فيها تلك الكلمة في بردية.

أكمل:

– على العموم أشكرك جدًّا يا أستاذ أحمد، وآسف على ما بدر مني ولكني تحت ضغط شديد.

أغلق أحمد الخط دون أن يقول أي كلمة، نظر أكمل إلى الهاتف ثم وضعه على المنضدة ونادى أحد العساكر الموجودين وقال لهم:

– أرسلوا لي أحدًا من المعمل الجنائي الموجودين في أرض المطار حالًا.

يدخل سعيد إلى الغرفة ووجهه شاحب اللون وهو يُلقي التحية على أكمل ويقول:

– أعتذر عن التأخير يا أكمل بك، كنتُ في المدينة المجاورة أُنهي بعض الأعمال و..

ينظر أكمل إلى سعيد ثم يقول:

– مالك يا سعيد على غير عادتك؟ وكيف لك أن تذهب إلى المدينة المجاورة وهي تبعد ثلاث ساعات عن مكاننا؟ كيف هذا؟

ينظر إليه سعيد في غضب واضح وتبدأ نبرة صوته في ازدياد ويقول:

- أكمل بيك احذر من طريقة كلامك معي أنا لستُ جنديًّا عندك،أنا ضابط شرطة مثلي مثلك فإياك أن تتكلم معي بتلك اللهجة مره أخرى، فلن أسمح لك أن تُهينني بكلامك.

ينظر له أكمل بهدوء ويقول:

- أنا لم أتهمكَ،ولكنك أكدت شكوكي فلا ترفع صوتك وأخبرني أين كنت وإلا سوف أتَّخذ معك إجراء قانونيًّا لن تحمد عقباه في المستقبل

أشاح سعيد بيده في وجه أكمل وقال:

- افعلْ ما يحلو لك، فلقد سئمتُ كل شيء، أنا أريد أن أنتقل من ذلك المكان أو أن أستقيل من تلك الوظيفة إلى الأبد.

ينظر له أكمل ثم يقول له:

- يا سعيد قل لي: ما بك الآن؟

قال سعيد:

- تلك القرية غريبة منذ أن جئت منذ 5 سنوات ولم أرَ إلا كل غريب وعجيب وأشياء لا يصدقها عقل، ولكني ضابط شرطة لا أعترف إلا بالحقائق والواقع الملموس والدلائل، ولكن ما أسمعه من العمال والمهندسين الزراعيين جعلني أشكُّ في كل شيء، فعلى سبيل المثال حريق المطار، قل لي.. كيف يحترق مطار ليلة كاملة ولا نشعر

به إلا قرب شروق الشمس؟ وكأننا كنا أمواتًا، المراقب الجوي كيف اختفى؟ وآخر يوم كنتُ أجلس معه ومع عم الشيخ مصطفى بالقرب من المسجد في الساحة الخلفية له، أكمل بك، أريد أن أنتقل من ذلك المكان بأي وسيلة وبأي شكل.

نظر له أكمل وقال:

- كلها نفس الأسئلة التي أسألها لنفسي مع فارق أني لم أكن موجودًا ساعة الحريق، والأحرى بنا الآن أن نعجل بالاستنتاجات حتى نبلغ بها القيادات بالقاهرة، ونسلم ما لدينا من أدلة ومستندات باقي من الزمن ثلاثة أيام فقط لنتحرك يا سعيد بسرعة.

***

(19)

الساعة الرابعة عصرًا تزدحم شوارع تلك المدينة الساحرة الإسكندرية، وفي أحد الأحياء الراقية كان يجلس عم فاروق على أريكته أمام إحدى البنايات العالية حارسًا للعقار على غير عادته قلقًا تمسح عيناه الشارع من أوله إلى آخره، حتى ظهر شاب ممتلئًا بعض الشيء يجري مُهرولًا على ذلك الحارس ثم يحتضنه بشدة وهو يبكي ويقول لقد نجحتُ يا والدي، ابنك الآن الدكتور محب بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف.

فضحك والده كثيرًا وقال له:

- هنيئا لك يا ولدي، لو كانت أمك حية الآن ترزق كانت لتفرح بك كثيرًا.

فنظر له محب:

- رحمه الله عليها،بعد اعتماد نتيجتي في الكلية لن أكون في حاجة إلى جواب القوى العاملة.

فنظر له والده وقال:

- كيف هذا يا بُني؟ أترفض تعيينات الحكومة؟

ضحك محب وقال له:

- يا والدي بل سوف يتم تعييني معيدًا في كلية الطِّبِّ.

ولكن شيئًا ما كسر الفرحة في قلب محب وهو الدكتور عبد المعز عميد الكلية وابنه الدكتور محمود في نفس الفرقة مع محب ولكنه كان فاشلًا بامتياز، وتلك كانت كلمة والده له باستمرار حتى كان الأب وابنه يُكنان لمحب ووالده كل الحقد والكره وبالفعل بعد أسبوع واحد كان اعتماد نتيجة كلية الطِّب بجامعة الإسكندرية.

ومرت الأيام حتى سُلب من محب ما كان يتمناه وهو حُلم عمره أن يصبح معيدًا في كلية الطِّبِّ وظلّ يطرق الأبواب مُطالبًا بحقه ولكن لم ينصت احدا إليه ولا حاولوا مساعدته بل تم نقله وهو الوحيد الذي جاء قرار تعينه سريعًا في الوحدة الصحية للمنطقة الجنوبية لمصر.

ذهب محب وهو مدمر كليًّا فحُلم حياته قد ضاع في غمضة عين، ولكن عادة محب عدم اليأس والانكسار أمام أي شيء، فقرَّر بدء حياة جديده غير مبالٍ بالأعباء النفسية التي سوف تواجهه، ولكنه قادر عليها وهذا هو تكوين شخصيته.

ثلاثة أيام للسفر المتواصل من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ثلاثة أيام عذاب بلا معنى أو فائدة، ثلاثة أيام بمعنى القهر والذل، ولكن من الخارج أما من الداخل فتصميم على النجاح وعدم اليأس أو الانكسار.

وصل محب إلى تلك المدينة المهجورة إلا من سكانها الأصليين عددهم ضئيل جدًا، وكان باقي السكان عمالًا أو فلاحين أو مهندسين خاصًا بعدد 4 شركات في ذلك الوقت، أو آخر أيام الشيخ المبروك، واختفاء أهل بيته كل هذا لم يكن يعني لمحب شيئًا، استلم العمل وكل شيء على ما يُرام كل ما يريده موجود، ولكن لمحب لم يكن كافيًا.

شابٌ صعيدي قادم مع عربة كبيرة تحمل الكثير من العمال يُصاب في قدمه حين هَمَّ بالنزول من العربة، بأقصى سرعة تم استدعاء الدكتور محب لتفقُّد حالة المريض الذي تم نقله إلى منزل الشيخ المبروك، وهنا تعرف الشاب مصطفى وكان هذا اسمه إلى الدكتور الشاب محب وبينهم الشيخ المبروك الذي عامل الاثنين كولديه.

ولكن بطبيعة الشيخ المبروك كان يرى أن مصطفى شاب على خُلقٍ وأمين وبه الكثير من الصفات الحسنة على عكس محب الذي كان يُخفي أكثر مما يُظهر، وكان هذا واضحًا حين أصبح الاثنان كصديقين، وذاع صيت الدكتور محب في المنطقة الجنوبية كلها حتى تغيَّر الحال فجأة وأصبح فجأة غليظ القلب عنيفًا في ردوده مع أهل القرية، حتى تشاجَرَ معه مصطفى في يوم وذهب ليشتكي محب إلى الشيخ.

مصطفى:

- أيها المبروك لقد سئمت ذلك المتعجرف محب، ما به؟ وماذا حدث له؟

المبروك:

- من أول وهلة رأيته بها لم أطمئن، ولكن إن بعض الظن إثم، ولكن تعامَلْ بطبيعتك يا بُني، ولكن احذر منه ليس أكثر.

تمر أيامٌ وشهور حتى يأتي ذلك الشاب الأجنبي جون مع والده آدم وهو رجل أعمال إنجليزي معروف في المنطقة الجنوبية بتجارة الآثار، وكان على خلاف دائم مع الشيخ المبروك، ولكن جون عكس والده كان شخصًا ودودًا طيب القلب، وكان يحب مصطفى كثيرًا ومحب، حتى تغيَّر الحال حين استطاع محب كسب ثقة جون ووالده وأصبح فردًا منهم مما يتنافى ذلك مع سلوك الشيخ المبروك وتابعه مصطفى.

***

ومن هنا أصبح محب رقم واحد بعد أن أصبح صديقًا لجون وعدوًّا لمصطفى وكل من في القرية أو يأتي إليها جديد لا بد أن يكسب محبة والدكتور محب مودته، وتحوَّل محب من دكتور عادي في وحدة صحيةٍ إلى الذراع اليُمنى لأكبر تاجر آثار وهو آدم وابنه جون، ولكنه لم يجرؤ على الدخول إلى المنزل، بل لم يكن مسموحًا له

بالاقتراب منه، ولكن بعد وفاة الأب آدم، أعطى جون مفاتيح المترل لمحب على أن يقيم فيه، ولكن محب فضَّل عنصر الغموض على ذلك حتى بعد اختفاء جون أصبح هو مالك المترل الجديد وعيَّن ذلك الشاب الأسمر النوبي لحراسة المترل.

ذلك المترل على مساحة 350 مترًا تتوسطه حديقة خضراء، سوره مزخرف برموز قديمة ومن الداخل تتوسطه بعض التماثيل القديمة للزينة ثم باب عتيق من الخشب الخالص يتوسطه ثلاثة نقوشات، وكأنها رمز ما، والغريب في ذلك أن تلك النقوش كانت هي مفتاح دخول المترل، فحين أخذ محب المترل من جون كان في باديء الأمر يجد صعوبة في فتح باب المترل حتى تعوَّده، يتكون المترل من 4 حجرات لكل منها حمامها الخاص، وأمام الباب مباشرة باب أثري مغلق بقفل ضخم لا يستطيع أحد الاقتراب منه وفي داخل المترل كان الأثاث على أعلى مستوى في ذلك الوقت تتوسطه نافورة صغيره للزينة.

كانت تتم عمليات تبادُل الآثار وتخزينها في داخل المترل وبالتحديد في ذلك الباب الذي لم يستطع محب أن يقترب منه ولكن بعد وفاة آدم الكبير واختفاء جون أصبح كل شيء مباحًا له، وفي يوم دفع الفضول بمحب أن يفتح ذلك الباب، وإذ به يجد أمامه مباشرة سلم من الرخام الإنجليزي الضخم فيترل منه ويجد نفسه أمام حجرة كبيرة بها الكثير من الطلاسم والنقوش الغريبة التي لم يعهدها محب من قبل.

(20)

بعد أن خرج الشيخ مصطفى من الاستراحة لم يكن يصدق ما رأته عيناه: مليكة، وظهور صاحب العهد الجديد، وقرب المعركة الكبرى، إن للمعركة الكبرى دلالات، ولكن ما دخل أحمد بذلك؟ فتلك لم تكن البردية الحقيقية، أعلمُ ذلك، فالبردية ما زالت في الصندوق العاجي في خزنة المبروك، إذًا لما ترسل مليكة إشارة لأحمد وهل هو إشارة بدء المعركة لا بد أن أرجع الآن وأرى ما بداخل الكتب مرة أخرى حتى لا يختلط عليَّ الأمر.

سار الشيخ مصطفى في طريق العودة إلى المترل، أصبحت القرية خالية من سكانها والمحلات التجارية تغلق أبوابها وقف الشيخ مصطفى أمام باب المسجد ثم دلف إلى داخله وأغلق الباب خلفه،توضّأ وشرعَ في الصلاة حتى ما إن انتهى منها قام على عجلٍ يتيقّن من غلق الأبواب بالكامل، مسجد كبير تُزيِّنه الزخارف الإسلامية بآيات

القرآن ويتوسطه ضريح الشيخ المبروك، ويغلب المنظر عليه إنه من ضمن الآثار الإسلامية الموجودة في عصرنا الحالي.

بعد أن اطمأنَّ الشيخ مصطفى بأنه وحده سار إلى باب الضريح ثم مدَّ يده إلى صندوق صغير بداخل الضريح فأخذه ثم فتح الصندوق فإذ بداخله مفتاح قديم الشكل يكاد يكون أثريًّا ثم وضعه بجيبه وسار نحو باب المسجد ثم خرج منه وهو يحادث نفسه ويقول:

إنها لمهمة عظيمة أيها المبروك التي منحتني إياها، لقد شبت وآن الأوان أن يستلم مني صاحب العهد الجديد المهمة، فالآن ليست لي القدرة على خوض تلك المعركة.

سار الشيخ إلى منزله وهو يتلفت حوله حتى يتيقن من خلو الطريق من المارة،ولكن هناك عين تراقبه وهو لا يلاحظها، ولكن انتبه لوجود الملثم على باب بيته، وحين أسرع بخطواته اختفى ذلك الملثم فوقف ونظر حوله وأخذ يُتمتم بكلمات حافظة كذكر الله، ثم دَلَفَ إلى منزله سريعًا وأغلق الباب بإحكام ثم ذهب إلى غرفة محكمة الإقفال ثم قال:

باسمك اللهم نبدأ وبك نستعين.

ثم دلف إلى داخل الحجرة وأضاءها ثم اتَّجه إلى صندوق خشبي ضخم وفتحه ومَدَّ يده إلى داخله وأخرجَ كتابين عتيقين ومذكرة ورقية ضخمة كلها تخصُّ الشيخ المبروك إلى جانب ذلك الصندوق العاجي الموجود به البردية الخامسة.

أخذَ الشيخ مصطفى بفتح أول كتاب وهو كتاب فرعوني قديم يتحدث عن معنى كلمة السحر وأنواعه بالكامل وأشهر كهنة الفراعنة المشهورين بأعمال السحر وتسخير الجن، أخذَ الشيخ يقلب في أوراق ذلك الكتاب حتى وجد في منتصف الكتاب صفحة مطوية فقلَّبها ثم نظر إلى ما بداخلها، فوجد أن من أشهر حراس القبور هم أبناء المرصد والمرصد هم من يحرسون قبور الملوك والكهنة وكبار رجال الدولة في ذلك العهد الفرعوني القديم.

أخذ الشيخ مصطفى يقرأ بعناية شديدة عن ماهية حراس القبور أو أبناء المرصد كما يطلقون عليهم، ولكنه وجد أن ما كان يوجد في البرديات يتنافى تمامًا مع المكتوب في البرديات، فالبرديات الخمس تتكلم عن نقاط أساسية في حياتنا سواء كنا بشرًا أم ملوكًا وهي (السلطان– الجاه– النفوذ– العقل والمنطق – القوة).

فتساءل الشيخ مصطفى وقال:

إذا كان ما قرأته بالكتاب يتنافى مع البردية إذن ما تلك البرديات الموجودة مع محب والتي عثر عليى واحدة منها ذلك الشابُّ أحمد وأيضًا صاحب العهد الجديد؟ قال لي.. نفس ما يوجد بالبرديات والكتاب يتنافى مع ما في تلك البرديات فأين الحقيقة؟

نظر الشيخ إلى الكتاب والمُذكِّرة ثم قال:

وأنتم ما وراءكم، يا شيخ مبروك لقد قلت لك مرارًا وتكرارًا.. أنا لستُ أهلًا لتلك المسئولية، أسأل الله تعالى السلامة.

أمسك الشيخ مصطفى بالكتاب الثاني ثم قال متسائلًا:

وأنت أيها الكتاب ما فحواك؟ ثم نفض من عليه التراب، ثم قرأ اسم الملك الحبشي، وهو يتحدث عن حياة الملك الحبشي بأدقِّ تفاصيله، فأخذ الشيخ مصطفى يُقلِّب فيه حتى وجد مجموعة صفحات مطوية، فأتى بقلم وبعض الأوراق ثم سبعة أجزاء مطويه في تاريخ الملك الحبشي، نبدأ بسم الله:

الجزء الأول: يقول إنه تم اختيار أقوى أبناء الرصد وأشدهم فتكًا لحماية الملك الحبشي لحين عودته من مرقده مرة أخرى وسوف يكون هناك خادم له من نسله وسوف يتم التعرف إليه من قبل الملك الحبشي.

الجزء الثاني: أن أصِحاب العهد حماة قبر الحبشي هم 3 فقط يتم اختيارهم عن طريق نسل الكاهن الأكبر وأن دورهم يقتصر على حماية عهد الملك الحبشي وإخفاء ذلك الصندوق العاجي فالسرُّ الأكبر بداخله.

الجزء الثالث: أن للقربان ثلاث مراحل وهي كشف المتربصين ودحرهم على الجهة الشمالية للمملكة.

الجزء الرابع: الخادم الأكبر نسل الملك الحبشي ليس من الشرط أن يكون من دمه ولكنه شخص يحمل بعضًا من صفات الملك ويتم اختياره عن طريق حارسة الصندوق مليكة.

الجزء الخامس:للبرديات أنواع ولأبناء المرصد نوعان من البرديات لا يعلم مكانهم سوى حارسة الصندوق مليكة ما سوف يظهر لن تكون هي البداية، ولن تكون النهاية، ولا يحملها أصحاب العهد.

الجزء السادس: أن إعلان الحرب ودق أبواق المعركة الكبرى والتي سوف يتحرر بعدها الملك الحبشي من مرقده هو الخادم.

الجزء السابع: أن الحرب سوف تكون بين خمس جيوش من أبناء المرصد أربعة ضد واحد وسوف تكون حرب كالنار تأكل ما حولها وأي إنسي يقرب من تلك النار سوف يحترق ولن يراها إلا الموكل لهم رؤيتها.

يسقط الكتاب من يد الشيخ مصطفى والذي يقول:

اقرأ تلك الكتب للمرة الأولى لأكتشف أني كنت أجهل الكثير من الأمور، أصحاب العهد والخادم والبرديات، هل ما نحمله هو الحقيقي أم المزيف؟ مليكة وخديعتها، المتربصون وكل هؤلاء ما أنا بفاعل يا شيخ المبروك أحتاجك أكثر من أي وقت مضى،نعم لا يوجد سوى الحل الأخير في مذكرات الشيخ المبروك.

"أنا المبروك ابن الشيخ عارف الفقير إلى الله وحامي قبور مملكة الجنوب وصاحب العهد الثاني بقراءتك لتلك المذكرة أكون قد قضيتُ نحبي،فاقرأ جيدًا يا من تمسك الآن بتلك الأوراق،نحن أصحاب العهد من عاهدنا على حماية قبور مملكة الجنوب وكنوزها من اللصوص الناهبين لثروات تلك المملكة وتراثها الذي أسسه الملك الحبشي، نعلمك أنك أنت صاحب العهد الثالث ولا يوجد بعدك سوى الخادم للملك الحبشي، وهو الآمر والناهي في المعركة الكبرى، ولا بد أن تعرف ماهية المعركة الكبرى حتى لا تقع فريسة لأهوائك، أن اختيار الكهنة لأبناء المرصد الخمسة هو اختيار في حقيقه الأمر بشع كارثي على البشرية؛ ولذلك وجب على تنبيهك يا قارئ تلك الأوراق البالية أن أبناء المرصد أصحاب القناع الذهبي سوف يتحدون بجيوشهم ضد صاحب القناع الناري وهو أشدهم قوة وبأسًا وأخطرهم، فجيشه بجيوشهم الأربعة، ولذلك حين ينفخ في بوق الحرب لا يقترب أي إنسي أو جني سواهم، وأن ذلك الخادم هم الشاهد الوحيد على تلك المعركة، فحاول جاهدًا أن تخرج من تلك الدائرة، ولا تنغمس فيها حتى لا تصبح قربانًا مع المتربصين، وفي الصندوق سِرٌ لن يعرفه سوى ذلك الخادم وأن البرديات الموجودة ليست هي الأصلية، بل هي تُستخدم في الاستدعاء فقط وليس للظهور، فاحذروا أن تستخدموا تلك البرديات فهي القربان الوحيد لبدء المعركة؛ ولذلك حين يقترب ميعاد المعركة الكبرى اذهبْ بعيدًا واركض،فلقد انتهت مهمتك إلى الأبد وسوف نتلاقى في العالم الآخر"

(الشيخ المبروك).

ملحوظه مهمة:

ما في تلك المذكرات ما هو إلا أشياء شخصية لا تهمُّ من يقرؤها؛ لذلك احرق تلك المذكرة على الفور ولا تلتف وراءك واهرب من تلك المعركة إن استطعت.

أمسك الشيخ مصطفى بتلك المذكرة ثم على الفور قام بحرقها وهو يقول:

لله الأمر من قبل ومن بعد قد حان الوقت لكي أذهب من ذلك المكان تنفيذًا لوصيه الشيخ المبروك.

صلاة الفجر قد حانت سوف أذهب الآن للصلاة ثم أنال قسطًا من الراحة حتى ظهور آخر لذلك الملثم.

***

(21)

في أقصى مملكة الجنوب اجتمع مجلس الكهنة المُؤلّف من 5 من كبار كهنة المملكة وحكمائها، منذ نشأة مملكة الجنوب كان لمجلس الكهنة الرأي الأكبر في أمور الدولة وكانت تُدار عن طريقهم من أكبر الأمور لأصغرها ولا يستطيع أحد في المملكة أن يتخذ أي قرار إلا بمباركتهم وموافقتهم،ولا يستطيع أحد مخالفتهم ولا عصيان أوامرهم بل يمتد نفوذهم في اختيار الحاكم.

بعد وفاة الملك الكبير والد الحبشي والأمين كانت جموع أفراد الشعب في حيرة من أمرهم فانتشرت الفوضى في مملكة الجنوب وعمَّ الفساد بها حتى قام الفرعون الأكبر وهو من أشرس حكام مصر بالاستيلاء على المنطقة الشمالية لمملكة الجنوب دون أدنى حروب أو مقاومة من قبل المملكة الجنوبية وقواتها لمدة 5 سنوات، فما كان من مجلس الكهنة إلا أنه عقد اجتماع طاريء للحد من الوضع الراهن

المزري الذي يواجهونه من قبل الفوضى الداخلية التي تملكت من المملكة من جهة ومن جهة أخرى الغزو المصري للمملكة الجنوبية والاستيلاء على الجزء الشمالي لها، مما يترتب عليه قطع الطريق عنهم وعن قوافلهم التجارية، فكان لا بد من إيجاد حل حتى تستعيد المملكة هيبتها.

الكاهن الأكبر:

– نحن الآن بصدد حرب داخلي وخارجية وبعد وفاة الملك الأكبر الحاكم للمملكة تطاول علينا الغزاة وتم سلبنا الجزء الحيوي للمملكة وهو المنطقة الشمالية وتعطلت مصالحنا وقواتنا منهكة، فلا بد الآن من تحديد الملك الجديد للمملكة فقد نضج الحبشي والأمين.

الكاهن 1:

– أرى أيها المعظم أن يتم تتويج الأمين بما أنه الابن الأكبر للملك وأن الحبشي يتم تعيينه وزيرًا للمملكة ولم شمل جيشنا ومواجهة الفرعون الأكبر، فما رأيك أيها الكاهن المعظم ومن بعده الكهنة؟

نظر له الكاهن 2 وقال له:

– لا أوافقك الرأي أيها الكاهن فأنا أرى أن الحبشي جاهز لقيادة الجيش والمملكة،أما الأمين فيكون وزيرًا للدولة، وهذا رأيي، فالحبشي منذ صغره يتميز بالحكمة والعقل، وقد ظَهَرَت عليه علامات الإمارة

منذ مرض الملك الأكبر، أما الأمين فلا أثقُ به ولا في تصرفاته غير المسئولة، أيها الكاهن المعظم رأيك هو الفاصل حتى لا نتخبط في وقت نحتاج إلى أن نتكاتف فيه، فما سوف نواجهه هو جيش الفرعون الأعظم وجيشه من أقوى الجيوش فلا مكان لأسرى أو لغيره لا يعرفون سوى لغة الدمار والدم فقط وولاؤهم للفرعون الأكبر.

ثم يكمل حديثه قائلًا:

- هل يوجد أي إعتراض أيها الكهنة؟

فينظرون إلى بعضهم البعض ثم يقولون:

- ما لنا أن نعترض أيها الكاهن الأعظم ولكن الحبشي يحتاج إلى العون والمدد حتى يستطيع مواجهة الجبهتين الجبهة الداخلية والخطر الخارجي.

ينظر الكاهن الأعظم ويقول:

- سوف نستعين بقوة أبناء المرصد وحامية البرديات مليكة، ولكن في البداية استدعوا أبناء الملك الحبشي والأمين لإبلاغهم بالأمر، وهلموا بنا إلى قاعة الحكماء حيث يتم مراسم التتويج للملك الحبشي.

فارس يمتطي جوادًا ويسير مُهرولًا إلى الحبشي ثم يقول:

- أيها الأمير الحبشي، أيها الأمير الحبشي.

ينظر له شاب أسمر طويل مفتول العضلات قوي البنيان يتكيء على حائط القصر الملكي ويقول:

– ما الأمر أيها الحارس؟

ينظر الحارس بعد أن نزل من فوق جواده راكعًا ويقول:

– أيها الأمير لقد تم استدعاؤك أنت والأمين إلى مجلس الكهنة حالًا وعلى الفور.

ينظر الأمير الحبشي بجانبه لشاب في نفس هيئته ولكنه أكثر ضآلة منه فيقول:

– أيها الأمين هيا بنا فحسبما أظن فقد حان وقته.

في ساحة المعبد يصطف عشرة جنود إلى الجانبين وفي منتصف الساحة سيف ذهبي ضخم كان ملك للملك المعظم والد الحبشي والأمين ويقف على درجات السلم الكاهن المعظم ويصطف حوله مجلس الكهنة ويملأ المكان، يأمر الكاهن الأعظم فتفتح الأبواب امام الأمير الحبشي وأخيه الأمين اللذين ينظران إلى بعضهما البعض في تعجب فيميل الأمير الأمين على الحبشي ويقول:

– أظن أنها مراسم تتويجي ملكًا لمملكة الجنوب خلفًا لوالدي فلا تقلق سوف أعينك الوزير الخاص لي.

يدخلان إلى الساحة ومن خلفهما تغلق الأبواب فينظران في ذهول إلى منتصف الساحة،فهذا سيف والدهما الملك المعظم ويصطف حراس المعبد على الجانبين إلى مقدمي التحية فيشير الكاهن إلى الحراس والجميع بالصمت ثم يترل درجات السلم فينحني الأمين في سعادة ومن خلفه الحبشي فيمر الكاهن من أمام الأمين ثم يمسك بيد الحبشي ويقول:

– الآن أنت الملك الحبشي.

فيُصعق الأمين من هول المفاجأة وينسحب سريعًا من ساحة المعبد فينظر الكهنة إلى بعضهم البعض، فيبتسم لهم الكاهن المعظم ثم ينظر مرة أخرى إلى الملك الحبشي ثم يأمره بأن يتبعهم، كان الحبشي كيسًا فطنًا فلم يتفوَّه بأي كلمة حتى يتبين ما نية مجلس الكهنة، فالمملكة محتلة والأوضاع الداخلية غير سارة فهو يعلم أنه مُقبِلٌ على معركة شرسة.

يجلس الكهنة ويتوسطهم الكاهن الأعظم ويقف وهو يعلن تتويج الحبشي ملكًا على مملكة الجنوب ثم يأمر باقي الكهنة بالخروج ثم ينظر إلى الملك الحبشي ويقول:

– أيها الملك الحبشي أنت الآن بصدد حرب عظيمة ضد الفرعون الأعظم يجب عليك استعادة رباطة جأش جيشك وإعادة ترتيب صفوف المملكة والجيش ولتحذر من أخيك الأمين.

ينظر له الملك الحبشي في احترام ويقول له:

- أعلمُ ما أنا بصدد مواجهته، ولكن لماذا تحذرني من اخي الأمين؟ فلو تريد رأيي والحق هو أبدى مني في تولي مقاليد حكم المملكة ثم إنه أكبر مني سنًّا وأيضًا أنا لا أريد سوى القتال كجندي عادي كابن من أبناء المملكة.

ينظر الكاهن المعظم له ثم يأمره بالصمت ويقول:

- ذلك الأمر غير قابل للنقاش الآن.

ثم يسير الكاهن إلى حائط ضخم يتوسطه رسمة دائرية فيضع يده بداخلها ويديرها حتى تفتح خزانة ضخمة بها صندق ذهبي ضخم ومفتاحه مُعلّق في الحائط الأيمن للخزانة، فيـــأخذ المفتاح ثم يأمر الملك الحبشي بالدخول حتى هم بالدخول، فأغلقت باب الخزانة وقام الكاهن بتلاوة صلاته حتى أنار الصندوق الذهبي الخزانة المظلمة، فقام المعظم بسحب المفتاح وقام بفتح ذلك الصندوق الذهبي اللامع.

صندوق ذهبي لامع ضوؤه كضوء الشمس في وضح النهار بداخله صندوقان من العاج، التقط الكاهن أحدهما وثم نظر إلى الملك الحبشي وقال:

- هذا الصندوق ملك لك الآن بمن فيه أيها الملك الحبشي.

نظر الملك الحبشي وقال له:

- وما في ذلك الصندوق حتى أملكه أيها الكاهن.

نظر الكاهن بابتسامة خفيفة ثم قال:

- به نعمة ونقمة، خير وشر، به قوة وضعف، فاختر أي طريق تسلكه.

يمسك الملك الحبشي بالصندوق ثم ينظر إليه ويقول:

- أهو صندوق الغاز أم ماذا يوجد به؟

يقف الكاهن ثابتًا لا يتحرك ثم يستدير مرة أخرى إلى الملك الحبشي ويقول:

- افتح الصندوق واقرأ ما تقع عليه عيناك.

يفتح الملك الحبشي فتقع عيناه على خمس برديات، أربع مربوطة بشرائط بيضاء والأخرى مربوطة بشريط أسود، فما كان إلا أن التقطها وهمَّ بفتح واحدة منها فقال له الكاهن:

- اقرا المكتوب بداخل جدران الصندوق.

فهز الملك رأسه بالموافقة.

"أبناء الرصد هم أبناؤك خير وشر أمامك وعلى نيتك تؤجر وعلى قلبك وفعلك تُحاسب فاحذر من الاستعمال بالشر، الشر لا يجلب إلا الشر والخير باقٍ، هم سادة المعارك وحراس الملوك، هم القوة والضعف، يا صاحب الصندوق لفوزك به سوف يخدموك ويحرسوك، ولبعثك هم منتظرون، فاحذر أن يقع

الصندوق في يد من لا يستحق، ولا تعطِ سِرَّك إلا لخادمك فهو معهم ينتظر بعثتك".

يغلق الصندوق ثم ينظر إلا الكاهن في تعجب واضح على قسمات وجهه ويقول:

– كنت أسمع والدي يحكي لي عن أبناء المرصد، ولكن ما علاقة ذلك الصندوق بهم؟ وما فحوى الرسالة الموجودة داخل جدران الصندوق؟

ينظر الكاهن ويقول له:

– أنصت لي جيدًا، بين يدك الآن أبناء المرصد الخمسة وهو في خدمتك ورهن إشارتك، ولكن احذر من التعامل مع خامسهم فهو لعنة، وهو أقواهم فلا تستخدمه.

– إذا كان خامسهم لعنة، فلماذا تعطيني إياه؟

قالها الملك وهو يغلق الصندوق.

ولكن نظر له الكاهن وقال:

– اقرأ ما في داخل الصندوق مرة أخرى وسوف تفهمه، والآن رحِّب بأبناء الرصد حراسك ولا تحاول فتح البردية الخامسة، واحذر منها، وهيَّا أيها الملك فالمجلس يثق بك.

***

يغلق الملثم الكتاب ثم ينظر إلى النافذة حتى يرى أن الطريق خالٍ، فيأخذ ما في بيت الشيخ مصطفى من الصندوق العاج والكتب ومذكرة الشيخ المبروك التي ظن الشيخ مصطفى أنه أحرقها ثم يركض بعيدًا حتى يختفي من الطريق بعد أن اقتحم منزله عند خروجه للصلاة.

***

(22)

استيقظتُ من نومي الساعة واحده ظهرًا، نهضت من سريري ولم أنتبه إلى هاتفي وكم المكالمات الفائتة بداخله حتى رن جرس الهاتف مرة أخرى فرأيت رقم يوسف، فأجبته وقلت:

- ما الأمر يا يوسف؟

قال لي يوسف بعصبية مُبالغ بها:

- ما الأمر يا يوسف؟ ها قل لي: ما الأمر أنت؟ وما بك؟ اتصلتُ بك أكثر من 50 مرة حتى أطمئن عليك وأبلغك رسالة من الإدارة بالقاهرة، تبلغك فيها بأن طاقم العمل البديل سوف يأتي أول الشهر القادم، وإن كنت تريد النزول لتحصل على أجازتك فسوف يأتي زميلك البديل الكابتن محمود وهبه يوم 18 لظروف طارئة، فاستعد، ولا بد أن تأتي إلى المطار حتى تكتب التقرير التفصيلي عن حالة المطار إلى جانب تأكيد وجودك.

ضحكت بسخرية ردًّا على ما قاله، ولكن يوسف قابل ضحكي بعصبية أكثر واضحة وقال:

- أحمد، قل الحمد الله أني لم أُبلغ الإدارة بالقاهرة عن أفعالك المجنونة، وأن من منعني هو الدكتور محب.

سكت بُرهة حتى ظن يوسف أني أغلقتُ الهاتف ثم عاودت القول:

- إنا لا يهمني ما فعله محب أو ما سوف تفعله أنت يا يوسف، فأنا لا أخشى شيئًا ومصمم على فضح أفعال محب.

- وما أفعال محب يا أحمد؟ قل لي ما أفعاله التي تريد فضحه عليها، رجل بسيط وعادي أحب المكان وأحبه المكان، فلماذا تريد النبش في أشياء ليس لك علاقة بها؟

قالها يوسف بانفعال جعلني أشكُّ في أن يوسف أيضًا وراءه سِرٌّ.

أغلقتُ الهاتف ثم جلست مرة أخرى على سريري أُفكِّر فيما سوف أفعله فلقد سئمتُ مما أنا فيه، ولا بد من وضع نهاية سريعة للأمر حتى فاجأني الهاتف مرة أخرى بمكالمة أخرى من زوجتي تطمئن عليَّ وتُبدي قلقها لما أنا فيه حتى قصصتُ عليها كل شيء ولم أكن أعلم أني أطردُ خوفي وقلقي بزرعه بداخلها، ولكنها اعتادت مني ذلك، فهي ملاذي الوحيد منذ أول يوم رأيتها فيها في حفل زفاف

صديقي وتقصيت عنها حتى أتاحت لي الفرصة للتعرف إليها، كائن ملائكي ذو طباع حسنة، ضحكتها كنور الشمس في إشراقتها وقلبها أطيب من قلب طفل صغير، وعقلها كشيخ راشد حكيم، تزوجنا وأتى ولدي إياد إلى النور وكلي فرح أن أصبح لي ابن منها ويحمل اسمي، سكت لبرهة ثم عاودت حديثي بمحاولة للمزاح حتى أُخفّف عنها توترًا أنا سبب فيه حتى ضحكت هي وقالت:

- إنه طبع فيَّ لا يمكن أن يتغير.

وضحكنا مع بعضنا البعض طوال المكالمة حتى أنهيتُها ثم نهضت من سريري حتى آخذ حمامي.

أُرخي جسمي تحت المياه الدافئة وأنا ما زال في عقلي ما سوف أفعله وما أقحمت نفسي به،فأغمضت عيني والماء ينهمر على رأسي، وكل جسدي فسمعتُ مَن ينادي اسمي بصوت منخفض بشدة أكاد لا أسمعه، فلم أُعره انتباهًا، ولكن أخذ ذلك الصوت في النداء عليَّ حتى انتبهتُ فنظرت حولي لعلي أرى مَن يناديني فنظرتُ جيدًا حتى فركت عيني ثم لففت المنشفة حول خصري واتجهتُ صوب الباب، إذ بي أُفاجأ بذلك اللون الأحمر القاتم على مرآة حمامي ومكتوب "مليكة عائدة "، فحاولت أن أمسح المكتوب، ولكن لم تفلح محاولاتي.

***

بعد أن غادر الملك الحبشي قاعة الكهنة نظر الكاهن المعظم إلى داخل الخزانة ثم دلف إليها مرة أخرى، وأغلقَ من خلفه الباب ثم نظر إلى الصندوق فتكلم صوت أُنثوي ويقول:

– أحان الوقت أيها الكاهن؟

نظر الكاهن إلى سقف الغرفة وقال لها:

– نعم لقد حان الوقت يا مليكة، تذكري لماذا اخترتُك فأنتِ ابنة ملك قبيلة المرصد، وهؤلاء هم إخوتك من يحمون الملك، وأنتِ من تحمين صندوقهم حتى لا يقع في الأيدي الخاطئة، ولتعلمي أن مهمتك لعظيمة، فسوف تساعدين أصحاب العهود الثلاثة للحفاظ على الصندوق وما فيه.

قاطعته مليكة قائلة:

– وإذا تم الاستيلاء على الصندوق أتأمرني بحرقه هو ومن أخذه؟

قاطعها الكاهن الأعظم بغضب شديد وقال:

– مليكة تلك نصوص العهد وهي الحفاظ على الصندوق وهو بداخل قصر الحبشي ثم الحفاظ على أصحاب العهد الذين دورهم حماية صندوق أبناء المرصد وحتى المعركة الكبرى وظهور خادم الحبشي وهنا ينتهي دورك.

نظرت له مليكة ثم اختفى صوتها، فنظر الكاهن إلى الصندوق ويحدث نفسه ويقول: إنها بداية النهاية، وها قد بدأت.

***

ارتديتُ ملابسي على عجلٍ حتى رأيت النور يرتعش، وما كان إلا أنه انطفأ، شعرت بالظلام الدامس يحيط بي من كل جانب، ظلام شديد مخيف كظلمة القبر، وما إن سمعت كلمه "مرحبًا بالخادم" ارتعدت فرائسي ولم أنتبه إلا حين رنَّ هاتفي وكان على الطرف الآخر بديلي محمود يعتذر مره أخرى عن الحضور لمرض ابنته الشديد فقلتُ له:

- لا تأتِ قبل أن أقول لك، واطمئن على ابنتك وفي وقتها سوف نتفق حتى تأتيَ إليَّ كي تتسلَّم العمل هنا، وتلك المدة هي فرصتي لمعرفة ما أقحمت نفسي فيه.

على الجانب الآخر كان الشيخ مصطفى يجلس أمام باب منزله بعد أن اكتشف سرقة ما لديه من كتب ومذكرة المبروك إلى جانب الصندوق العاجي والبردية الخامسة، ولكن من الغريب أن يجلس شخص مثله في هذه الحالة من الهدوء والسكينة مع العلم أن ما اختفى قد يودي بحياته، ولكنه تعلم من المبروك أن يكون هادئ الطباع، ولكن هناك شيئًا ما يخفيه ولا يعلمه أحد إلا هو.

عندما وقفت على باب المسجد وجدته لاحظت مصادفة عندما نظرت إلى الجانب الأيمن الشيخ مصطفى يجلس أمام مترله في وقت الظهيرة، وهذه ليست من عاداته فهممتُ بإلقاء التحية عليه، فردَّ التحية بهدوء وسألته عن سر المكوث أمام المترل في ذلك الوقت فقال لي إنه تعرض للسرقة فجر اليوم حين كان بالمسجد يصلي، فقلت له:

– ولماذا لم تخبر الشرطة بذلك؟

فقال:

– يا بني إن ما سُرق قد سُرق مني منذ زمن طويل وبفضل الله استرجعته ولكن ما أُخذ الآن لن يُسترد بسهولة، فليس الزمن كالزمن.

نظرتُ له في ريبة فقد شعرت بأن الشيخ مصطفى أيضًا من ضمن الناس الذي يخبئون سرًّا عظيمًا، ضحك الشيخ مصطفى وقال لي:

– إن حارس البيت المهجور الخاص بمحب قد سافر إلى بلدته لتقديم واجب عزاء وأن محب مختفٍ منذ أمس.

فنظرت له في تعجب وقلت:

ولِمَ تخبرني بذلك يا عم الشيخ؟

قال لي ضاحكًا:

من باب العلم بالشيء.

وكأنه يعلم أني مُقدم على شيء جنوني.

***

"قالوا إن للموت لسكرات، ولكن لم يقولوا إن الموت هو البداية وليست النهاية. مَن أحب الحياة كَرِهَ الموت، ومَن كَرِهَ الحياة أحبَّ الموت كلها مسميات عابري السبيل، فللحياة هدف وللموت غاية فلا يعلمها إلا صاحبها، وأن البعث هو خير دليل على أن الموت هو البداية وليس النهاية".

قرأ أحمد تلك الكلمات المكتوبة بداخل البيت المهجور بعد أن اقتحمه للكشف عن سره الذي ظل حبيسه طول الفترة الماضية ولكن ما تعجب له أن ما يقرؤه ليس مكتوبًا بلغة مفهومة أو يعرفها فما يقرؤه هي رموز وحروف للغة غير معروفة.

هكذا قرأ أكمل تلك الصفحة بصوت عالٍ حتى يتمكن من التركيز أكثر على تلك النقطة التي ذكرها أحمد في مذكرته، وما سر ذلك البيت، وإذ هو غارق في التفكير رنَّ جرس الهاتف فيلتقطه فإذ هي زوجته.

***

(23)

على الجانب الآخر كان محب يجلس بداخل غرفته في الوحدة الصحية بعد أن خيَّم عليها الظلام الدامس وخلفه يقف شخص ملثم لا يظهر منه إلا عيناه حتى قام محب بقراءة تلك التعويذات حتى اهتزَّ المكان بأسره، واشتعلت الأربعة أركان بنار عمودية زرقاء اللون كأن أحدهم قد رسمها فركع هو والملثم في حركة واحدة ثم قال:

- يا أبناء المرصد يا من تملكون القوة والحماية قد جئتُكم بصاحب العهد الجديد وقد وليتُه زمام الأمور فهل لي بالإذن ببدء المعركة.

ضحكة شيطانية تكاد تنخلع لها القلوب وفي صوت واحد قالوا:

- أي معركة أيها الأبله؟ ألم نقل لك إن استعجالك قد يؤدي إلى دمار كل شيء، إن للمعركة الكبرى أصول وثوابت لن تتغير أيها الأحمق حتى ظهور ملكنا الحبشي، فهل قتلت الخادم والحارسة؟ وهل

أتيت بالصندوق والبردية الخامسة؟ هل تيقنت من موت صاحب العهد القديم؟ وهل تيقنت من صاحب العهد الجديد؟ قلنا لك إنك شخص غريب الأطوار وقريبًا هلاكك.

ثم انقشع الظلام وهو يلتفت إلى الملثم ويقول له:

- كل ما قيل هو ليس بالغريب ولكن من الواضح أني اعتمدتُ على شخص غبي سوف يُضيع مجهود عمر بأكمله.

نظر له الملثم ثم التفت ناحية الباب وقال:

- بل أنا من اعتمدت على كلام شخص مثلك أبله لا يفكر سوى في نفسه وفي طموحات وهمية كالخلود والمال والسلطة التي تريدها،كلها أطماع دنيوية،أما أنا فلا أريد سوى كنوز الملك الحبشي وحين تنتهي المهلة سوف أنتقل من ذلك المكان إلى مكان أرقى، ولكن ليس في تلك البلد بل في مكان آخر.

ضحك محب وقال:

إذًا ما الفرق بيني وبينك؟ أنت تريد المال وأنا أريد السلطة والخلود والمال، إذًا من فينا الأبله؟ كل ما أريده هو تعويض عن عمري الذي أفنيته في ذلك المكان، حتى أستمتع بما لم أستطع الاستمتاع به في حياتي كشابٌ إلى أن أصبحتُ عجوزًا على مشارف الموت، فذلك حقي، وهذا ما وعدني به أبناء المرصد.

نظر له الملثم ثم أدار ظهره وهو يقول:

- نحن وجهان لعملة واحدة وهو الشر.

ثم غادر المكان ومحب ينظر له ويقول لا يهم ما تقوله ولكن يهمني ما أنا أريده، ثم يلتفت إلى حجرة صغيرة ويدخل بها إنها مسروقات الشيخ مصطفى، فينظر لها ويبتسم ويقول اليوم أُعلن انتصاري عليك يا مصطفى أنت والمبروك، وسوف أضحك كثيرًا حين أراك ونار أبناء المرصد تلتهمك.

***

دخلت ذلك البيت وأنا كلي حماسة وشوق لمعرفة ما وراءه من أسرار، وما سبب عدم دخول الناس إلى ذلك الطريق، فكلما رأيت ذلك الحارس ظننتُ أن هذا الطريق هو ملكية خاصة لصاحب المترل، سور عظيم من الأسياخ الحديدية المتلاصقة، قفزت من فوقها إلى بهو البيت، حديقة بسيطة الخضرا تشعر وكأنها أرض بور رغم ما بيها من زرع ذلك المترل صاحب الجدران السميكة وبابه الأثري دخلت بسهولة إلى داخله فبالتقريب ترك الحارس الباب مفتوحًا أم أنه يوجد أحد بالداخل لا أعلم،ولكن ما وجدته هو مترل عادي ولكن جدرانه سميكة وقديمة كالبيوت المصرية في القدمن ولكن ما هالني وآثار الريبة في نفسي هو ما قرأته:

"قالوا إن للموت لسكرات، ولكن لم يقولوا إن الموت هو البداية وليس النهاية، من أحبَّ الحياة كره الموت ومن كره الحياة أحب الموت كلها مسميات عابري السبيل، فللحياة هدف وللموت غاية، فلا يعلمها إلا صاحبها، وأن البعث هو خير دليل على أن الموت هو البداية وليس النهاية".

ما تلك اللغة؟ ومِن أين لي معرفتها؟ لقد قرأتُها بكل سهولة ويُسرٍ وكأني درستُها من قبل دراسة احترافية، لا أعلم ولكني دخلت إلى دوامة لن تنتهي على خير، أيها اللعين محب ما السر وراءك؟

منزل عادي كأي منزل لا شيء يثير الريبة أو الشك، ولكن يبعث على الكآبة والتشاؤم هذا ما جالت به نفسي، فجدرانه مليئة بالنقوش التي كنت أقرؤها بسهولة ويسر، بحثت في المنزل كله لم أجد شيئًا حتى هممت بالانصراف، إذ أرى بابًا في مواجهة باب البيت يُفتح وكأن هناك مَن فتحه، باب خشبي ضخم ثقيل والوزن فقمتُ دون أي وجه تفكير بالدخول إليه وبمجرد دخولي تعثّرت في سُلّمه حتى وقعت على رأسي وفقدتُ الوعي مدة لم أحسبها، وعندما أفقتُ وجدت نفسي في سرداب ضخم يحتوي على ثلاث غرف لكل غرفة باب حديدي كباب سجن في العهود الماضية.

رائحة المكان غريبة ولا تبعث على الاطمئنان، نهضتُ وأنا أنفض التراب عن ملابسي، وحاولتُ أن أبحث عن زرِّ الإضاءة ولكن فجأة وجدت عدد عشر شعلات تضيء النار فيها وحدها،ارتعدت فرائصي أكثر حتى تسمرت في مكاني، ما هذا المكان الغريب الذي أراه؟ سوف أعرف الآن ماهيته والويل لك كل الويل يا محب يا ملعون.

أول غرفة قد فتحت بابها أصدرت صوتًا عاليًا يدل على أنه لم يفتح من زمن غرفة خاوية لا يوجد بها شيء سوى طبق فضي لما همت بالتقاطه أسقطته سريعًا تلك الدماء الملصقة جعلتي في حالة ذهول فلما نظرت إلى تلك الأرض وجدتها مليئة بالدماء، الواضح منها أنها منذ زمن فخرجت سريعًا من الغرفة.

ثاني غرفة فتحتُ بابها رأيت عشرات من التماثيل الأثرية وبها تمثال من الذهب الخالص ضخم، وكان تمثالًا طوله متران يلمع في الظلام وبقاعدته بعض النقوش التي تحتوي على ماهيته وبالفعل استطعت أن أقرأها وهي "ذلك التمثال للملك الحبشي ملك مملكة الجنوب" وذلك أيضًا أثار في نفسي الريبة والشك، فكيف لي معرفة تلك اللغة، فأمسكت هاتفي وقمت بتصوير محتويات الغرفة الثانية ثم رجعت للأولى وصورتها أيضًا بما فيها.

رنَّ جرس هاتفي فقمت بإغلاقه على الفور حتى لا ينتبه أحد لوجودي، ولكن من سينتبه فالحارس في إجازة ومحب مختف! وهذا المحب البغيض كنت أعلم أن وراءه سِرًا وقد ظهر ألا وهو تجارة الآثار وخاصة أن مملكة الجنوب من الواضح عليها مليئة بالكنوز.

الغرفة الثالثة وهي الفجيعة الكبرى والمفاجأة لي وأيضًا قد أثارت الرعب الشديد في قلبي،فتحت الباب فوجدتُ هيكلين عظميين لرجل كبير وطفل وإلى جانبهما بعض الأوراق.. ما هذا؟ ما تلك الملابس؟ إنها ملابس عسكرية على ما أظن،التقطت الصور وانحنيت حتى ألتقط كل ما في تلك الغرفة من أوراق وملابس عسكرية وتلك القلادة.

أخذتُ كل ما في تلك الغرفة ونظرت إلى ذلك الممر حتى صرت أركض كالمجنون حتى خرجت من ذلك المنزل اللعين، محب أيها اللعين أنت الآن أمامي تاجر آثار إلى جانب أنك قاتل، ولكن كيف للسكان أن يصمتوا على أفعالك، وما السر وراء كل هذا، لا بد أن أرجع إلى الشيخ مصطفى، أريد أن أعلم كل شيء، أريد أن أظهر حقيقة ذلك القبيح أمام الجميع وفضحه والإبلاغ عنه.

***

يغلق أكمل المذكرة بضيق شديد وألقاها بعيدًا، حتى ضحك سعيد من فعلته وقال له:

– يا أكمل لقد قرأها ما يقارب من عشر مرات، وكلها بصوت مرتفع وعالٍ، فكفَّ عمَّا تفعله فمن الواضح أن ذلك الشخص خياله خصب ورؤيته الإبداعية في التخيل عالية.

نظر أكمل لسعيد وقال له:

– هل سوف تصدقني لو قلت لك إني بدأت في تصديقه وهذا يقودني إلى درب من دروب الجنون.

قال سعيد بنظرة جدية وهو ممسك بتلك المذكرة:

– إذًا فلنأخذ باقي اليوم راحة ولا تُلقِ بالًا لتلك المذكرات الآن.

نظر له أكمل ثم خرج من غرفته متجهًا صوب الباب وحين هم سعيد بسؤاله عن وجهته قال له:

– سوف أتصل للاطمئنان على أهلي.

***

(24)

- يا شيخ مصطفى، يا شيخ مصطفى.

قلتها بصوت عالٍ حتى سمع معظم من بجوار مترل الشيخ مصطفى من سكان.

فخرج الشيخ مصطفى، وهو متعجب ويقول:

- ماذا هناك يا بني أخفتني كثيرًا؟

قلت له:

- إني أريدك لأمر مهم.

وسحبته من ذراعه إلى داخل مترله وأغلقت الباب، ونظرت حولي وكأن أحدًا متربص بي.

– ماذا بك يا أحمد يا بني؟

قالها الشيخ مصطفى وهو ينظر إلى نظرة قلق وخوف.

أخرجت من جيبي هاتفي وأوراقًا شخصية وجواز سفر وقلادة تخص جنديًا إلى جانب قميص ملطخ بالدماء كنت قد لففتُه على وسطي حتى أستطيع الهرب بها ولا يراني بها أحد فوجدتُ الشيخ ينظر إليَّ متعجبًا لما أخرجته ويقول لي:

– ما كل هذا؟

قلت له:

– هذا دليل إدانة محب يا شيخ كل ما أخرجته لك سوف يثبت لك صحة كلامي وسوف يثبت ليوسف زميلي أني عاقل ولست بمجنون، انظر أيها الشيخ إلى تلك الصور انظر جيدًا ودقّق النظر، ذلك الطبق الفضي كان مليئًا بالدماء وتلك التماثيل، أليس هذا الملك الحبشي الذي قد حكيت لي عنه؟انظر أيضًا إلى تلك الهياكل العظمية، أتعلم لمن؟ إنها لجون آدم وابنه سميث اللذين كانا على متن الطائرة المنكوبة منذ عشر سنين وهذا..

قاطعني الشيخ مصطفى سريعًا وعلى وجهه علامات التعجب والذهول كأنه غير مصدقٍ ما قلته له ثم قال لي:

– جون آدم وولده وكيف عرفت ذلك يا بُني.

قلت له:

- تحققت من بياناتهم التي بحوزتهم من جواز سفرهم إلى بعض الأوراق، إذًا فهم تم سحبهم إلى سرداب المنزل المهجور بواسطة محب أيها الشيخ، ومِمّا لا شك فيه أيضًا أن محب قد يكون من أسباب سقوط الطائرة وبأكثر من وسيلة.

الشيخ مصطفى:

- وتلك القلادة والقميص الملطخ بالدماء ذلك لمجاهد جندي الحراسات المفقود.

عاجلته بسرعة وقلت:

- نعم ولكن كيف عرفت ذلك؟

قال وهو يبتسم ابتسامة باهتة وراءها سر عظيم ويقول:

- لأني أقدم منك في ذلك المكان.

لملمتُ كل المتعلقات ثم تركت الشيخ وأمسكت هاتفي وقلت:

- مرحبًا يوسف معي مفاجأة لك.

***

على جانب آخر كان هناك من يراقبهم، ولكن من داخل منزل الشيخ مصطفى، بعد أن أغلق الباب وراء أحمد سمع صوتًا يعرفه ويتذكره جيدًا، صوتًا لم يسمعه منذ آخر لقاء مع المبروك، ولكنه يتذكره، نعم يتذكره، أيعقل أن تكون هي تلك الحسناء التي زرعت الرعب في نفسه وأخذت منه المبروك ورقية زوجته؟

- لا تفكر كثيرًا يا مصطفى، فأنت أضعف من أن تفكر.

قالتها مليكة بصوتها الأنثوي المتميز ثم أكملت حديثها وقالت:

- لقد قلت للمبروك مرارًا،وتكرارًا إنك غير أهل لتكون صاحب العهد الثالث،ولكنك قدرنا ومكتوب لنا أن سوف يأتي صاحب العهد الثالث ضعيف مهزوم يخاف من ظله ومن خلالك سوف تكون بداية النهاية، قالتها وهي تتجسد له بظهور كامل.

نظر لها مصطفى وهو يقول:

- أقد حان وقتي الآن حتى أستريح؟

نظرت له وفي عينيها شرر الغضب وقالت:

- أتقول إنك تريد أن تستريح لا يوجد لديَّ راحة لك أيها الأبله بعد أن خالفت عهدك مع المبروك أنا هنا لحماية خادم الحبشي.

يقذف مصطفى كوب الماء تجاهها ثم يقول:

- ولماذا لا توجد راحة لي؟ ولِمَ عليَّ تحمُّل المزيد من الآلام والصبر على شيء ليس مقدرًا لي الراحة كالمبروك وإعطاء الراية لصاحب العهد الجديد.

ألم أقل لك إنك غبي ولا تصلح لشيء؟ لا يوجد صاحب عهد جديد أيها الأبله، ولا يوجد سوى الخادم، ذلك الشاب الذي أقحم نفسه في تلك المشكلات، ثم قل لي هنا أين هي أمانات المبروك وأين هو الصندوق وبرديات أبناء المرصد؟

نظر في الأرض حزنًا وقال:

- لقد سُرقت مني يا مليكة كلها، ولكني ما زلتُ أحتفظُ بالبردية الخامسة، ولن تبدأ المعركة إلا بوجود الخادم وفتح البردية الخامسة.

قالت له:

- الخادم من الآن في حمايتي لا شأن لك به، ولكن للنصيحة اقضِ عليهم قبل أن يقضوا عليك، لقد سمحتُ لهم بسلبك في الماضي لا تسمح لهم بسلبك آخر أيامك، مت بشرف أيها الرجل.

ثم انطفأت الأنوار واختفت مليكة، فعاود الشيخ مصطفى الكلام مع نفسه وقال:

- أهذا هو عهد الصداقة بيننا يا محب؟

***

(25)

اليوم السابع عشر..

استيقظت من نومي وأنا بداخلي حماسة شديدة لكشف النقاب عن ذلك المختل محب، نعم سوف أسقط القناع عنه وسوف أبلغ الشرطة وإدارتي بالقاهرة ونعيد التحقيق في أمر تلك الطائرة المفقودة وعلى ما أظن أن شخص مثل محب سوف يكون أمره سهلًا حيث إنه فرد قام بارتكاب الكثير من الجرائم ولذلك سوف أكشفه اليوم أمام يوسف، وأعرف ذلك المعتوه، إني لست بالشخص المريض أو المدعي.

ذهبتُ إلى المطار في عربة لنقل الخضراوات من القرية الموجودة بها الاستراحة، توجهت سريعًا إلى يوسف حتى أخبره ما اكتشفته وأنا أخبِّئ ما عثرت عليه بحقيبتي، ثم قلت:

- يوسف، يوسف أين أنت يا يوسف؟ أليس أحد هنا؟ أين ذهب يوسف؟ سِرتُ في مختلف الطرقات للمطار أطرق جميع الأبواب كلها في جميع المباني حتى أعثر على يوسف.

خرج محب إلى وهو يقول:

- يوسف ذهب للقرية لإحضار بعض من الأطعمة والمشروبات لأنها نفذت منه.

نظرتُ له في تحدٍّ واضح وقلت له:

- ولماذا لم تذهب أنت يا محب؟ أم أنك تأكل فقط ولا تشتري.

نظر لي في هدوء وابتسامته السخيفة المعهودة وقال:

- من الواضح أنك نلت القسط الكافي من الراحة وسوف تتسلى علينا الآن أنا والمسكين يوسف.

نظرت له في تحدٍّ واضح وقلت:

- لا يا دكتور محب بل ما سوف أطرحه عليك من أسئلة هو تسليتي الوحيدة اليوم، ولكن أنت تقول إن يوسف بالقرية وأنا جئت من القرية ولم أره أين هو؟

نظر لي محب في ضجر واضح وقال:

– سوف أدلف إلى غرفتي أنام لحين عودة يوسف، فليس لديَّ وقت لأضيعه معك.

قلت له:

– نعم أكثر من 30 عامًا مضت في ذلك المكان، لم تكن مضيعة للوقت، تدخلك في شؤون القرية ومن يأتي فيها وفي شؤون المطار الخاصة لم يكن مضيعة للوقت، تملكك للمترل المهجور ومنعك لأي من السكان الاقتراب منه لم يكن مضيعة للوقت إلا إذا كنت تخبئ بداخله شيئًا ما.

ضحك محب بخبث وقال:

– أعلم أنك منذ مجيئك إلى هنا لا تعاملني إلا بسوء النية وقلة الذوق والأدب وأحيانا الغرور فما الجدوى في ذلك يا صديقي.

نظرتُ له في حدة ثم قلت:

– تأدب يا وقح فمن أنت حتى تتكلم معي بتلك الطريقة الفجة؟ نعم أعلم أن وراءك سِرًّا وأعلم أن أفعالك مريبة وقد كشفتها، محب، كيف حال سرداب مترلك المهجور؟

كاد محب أن يطلق شرارات غضبه، ولكنه تمالك أعصابه في اللحظة الأخيرة ثم نظر لي قائلًا:

- اعلم أن حيلك تلك لن تُجدي معي وإذا كنت دخلت بيتي، كيف دخلته أيها الأحمق الوقح؟ يقولها وفي نظراته يريد الفتك بي.

استمررتُ في استفزازي له وقلت:

- عندما ذهب ذلك الحارس إلى واجب العزاء وأنت لم تأتِ إلى المترل دخلت إلى مترلك بسهولة ويسر وقرأت جميع ما مكتوب على الجدران حتى اكتشفت مصادفة ذلك السرداب وغرفه حتى تلك القلادة وأخرجت قلادة الجندي المفقود وهو مجاهد وألقيتُها أمام محب حتى تسمر من مكانه وبدأ في التحرك نحوي، ودون إرادة مني أو حساب لأي شيء قمتُ بلكمه في وجهه ودفعه إلى الأرض بقوة حتى حاول القيام مرة أخرى فعاجلته بلكمةٍ أخرى أفقدته قُدرته على الكلام ورأيتُ ذلك الدم العفن يخرج من فمه.

أخذ الدكتور محب نظارته بعد أن لكمته ودفعته إلى الأرض بقوة وصرخ بأعلى صوت بعد أن هممت بالانصراف وقال لي:

- لن يصدقك أحد على تلك الأفعال المجنونة والتي سوف أرسل بها تقريرًا إلى إدارتك بالقاهرة، فمن سيصدق تلك التخاريف والهراءات التي تقولها؟ فأنت لست سوى أحمق يبحث عن هلاكه..

فكن عاقلًا كباقي زملائك والزم الصمت أو ارحل من هنا أيها الأبله.

قلت له بتحدٍّ واضح:

– ولكن سوف يصدقون ما في يدي من دليل ضدك وضد من يعاونك أيها الأحمق، اذهب الآن وسوف أقابل يوسف وأقصُّ عليه الحقيقة حتى يقتنع بأني لست بمجنون او مُدعٍ.

نظر لي محب والدم يسيل على وجهه وقال:

– سوف نرى.

***

أغلق يا أكمل تلك المذكرات فليست إلا سوى كتابات شخصية لشخص أحمق مريض لا بد من إيجاده وعلاجه قالها سعيد وهو يأكل من الطعام المخصص له أمامه.

فيرد أكمل ويشعل سيجارته ويقول:

– بدأت أصدق أن كل ما كتبه ذلك الشخص هو حقيقي، ولكن تلك ليست قضيتي الآن.

ينظر سعيد وأكمل إلى بعضهما البعض ثم يسودِ الصمت المكان حتى تحول إلى قبرٍ مُظلم.

***

(26)

عدتُ إلى القرية سريعًا، ولا أتذكَّر كيف عدت إليها؟ ولكن ما يشغل بالي الآن أن أجد يوسف بأي شكل ووسيلة، فلا بد من إخباره بأفعال ذلك الحقير محب حتى سرت بين الطرقات كالمجنون أبحثُ عنه، حتى توقفت فجأة عند باب الشيخ مصطفى، حركة لا إرادية وبدون وعي طرقت الباب ولم أنتظر أن يسمح لي بالدخول حتى دخلت فجأة ولكني وجدت الشيخ مصطفى جالسًا على كرسيه أمام الباب وهو يبتسم ويقول: كنت أنتظرك.

- كنت تنتظرني، لماذا؟ ولماذا تجلس هكذا يا شيخ مصطفى؟

قلتها وأنا أتفحَّصه جيدًا بنظري فنظر لي ثم قال:

- أغلق الباب أريد أن أتحدث إليك قليلًا لعله يكون كلامي الأخير لك.

أغلقتُ الباب جيدًا وبإحكام ثم قال:

- تريد أن تعرف ماهية الموضوع بالكامل؟

قلت له:

- أتمنى ذلك.

جلستُ على الكرسي المقابل للطرف الآخر لكرسي الشيخ مصطفى فنظر إلي وأخذ يقصُّ عليَّ علاقته بالمكان والشيخ المبروك ومحب صديقه وجون آدم وما فعله محب حتى الآن وأبناء المرصد والملك الحبشي والبردية الخامسة والمعركة الكبرى كل هذا أخذَ أكثر من ثلاث ساعات من الكلام المتواصل حتى شعرت بأني في كابوس فظيع.

بعد أن أنهى الشيخ مصطفى حديثه، قال لي:

- سوف أتركك الآن مع شخص يريد الكلام معك ومقابلتك.

قلت له:

- مَن يعرفني هنا ويريد مقابلتي.

نظر لي الشيخ مصطفى ثم ظهرت امرأة شديدة الجمال وقالت لي:

- مرحبًا بك أيها الخادم.

نظرت لها بتعجب شديد وقلت لها:

- لا تقولي لي إنك من تركتِ لي رسائل على مرآة الحمام وعلى حوائط استراحتي.

قالت لي:

- نعم هي أنا، وأعلمُ أنك لشديد الذكاء والغباء في نفس الوقت أن تقحم نفسك في كل تلك المشكلات.

قلت لها:

- تلك المشكلات بسبب محب وليس أنا السبب فيها قل لي يا شيخ مصطفى: مَن تلك المرأة؟ ولماذا تصدر تلك الأفعال من محب؟ ولماذا لم تبلغ عنه الشرطة إلى الآن؟

قاطعتني مليكة بحدة وقالت:

- ليس الآن الوقت المناسب للأسئلة، فلا بد لك أن تستعد للمعركة الكبرى.

ثم اختفت تلك الفاتنة ولم أستعجب من اختفائها نظرًا لما لاقيته طوال تلك الفترة الماضية،ولكني نظرت إلى الشيخ مصطفى وقلت له:

- لماذا يحدث كل هذا؟ وما دورك أنت ودور محب؟

نظر لي الشيخ مصطفى بأسى شديد وقال:

- أنا مثلك أتيتُ إلى هنا بحثًا عن الرزق، ولكني وجدتُ نفسي في كنف المبروك وأحمل راية عهده من بعده ووجدت نفسي أحمي صندوقًا يحمل أبناء المرصد الخمسة والمطالب مني أن أسلمهم لغيري، ولكن محب سرق كل شيء مني وأنا الآن لا أعلم ما سوف يحدث ولكني على يقين بأن تغيير مسار الأحداث سوف يكون في يدك أنت الخادم.

قلت له بعصبية واضحة المعالم:

- الخادم تقول لي أنت أيضًا إني الخادم؟ اللعنة عليك وعلى كل شيء! سوف أبلغ الشرطة بعد أن أجد يوسف.

نظر لي الشيخ مصطفى ثم تركني وبدوري قمتُ بترك المنزل حتى وصلتُ إلى استراحتي ودخلتُها ووجدت تلك العبارات:

"قوة الابن الخامس للمرصد في يدك أنت".

"الخادم يفعل ولا يأمر وفي انتظار سيده".

"سيف ذهبي ومفتاح فضي وليبدأ العبث".

"العودة قادمة فكن له عونًا كما تحمل في دمك".

قرأتُ كل تلك العبارات حتى خارت قوايَ وسقطتُ على الأرض مغشيًّا علي ولا أعلم كم من الوقت مَرَّ علي حتى وجدت نفسي في أرض قاحلة لا زرع بها ولا ماء وجيوش بأعداد ضخمة وأنا في

المنتصف حتى قامت حرب وأنا أصرخ من شدة خوفي،أفقتُ من نومي وأنا أصرخ، حتى شعرتُ بأن نبح صوتي من شدة الصراخ، عندما استيقظت وجدت أن تلك العبارات اختفت ولكن لِمَ كل ذلك الخوف أم هو إرهاق وتعب من التفكير، لا أعلم ولكن ما أعلمه أني مقدم على شيء خطير ولا أعلم ما هو، عندما نهضت وجدت أنه يوجد سؤال لا بد أن أسأله للشيخ مصطفى، فذهبتُ إليه لعله يجيبني عليها وأستريح.

***

جلس مصطفى وهو ينظر إلى صندوقه الكبير وهو يقول:

- أما أن الأوان أن أرتاح قليلًا، لقد سئمتُ تلك الحياة، ولكني على عهدك أيها المبروك، سامحك الله.

يقوم الشيخ مصطفى يغلق جميع أبواب مترله بنوافذها جيدًا ويتيقن منها جيدًا ثم يتجه إلى الصندوق مرة أخرى ويفتحه ثم يضرب بيده ثلاث مرات في أرض الصندوق فيفتح شيئًا بسيطًا فيخرج تلك الخشبة مربعة الشكل ثم يخرجها، إنها هي البردية الخامسة هي من يتقاتلون عليها.

يقوم الشيخ مصطفى من مكانه وهو يضع كل شيء نصابه ويخرج إلى الصلاة 150 متر الفرق بين المترل والمسجد، يسير الشيخ مصطفى ببطء شديد تلك المرة كأنه مسحور هائم على وجهه، وهناك من

يراقبه، نعم ولكن تلك المرة هي أنا أحمد بعد أن غاب عن نظري ورأيته على أول سلم المسجد دخلت إلى مترله وأخذت في تفتيشه لعلي أجد شيئًا يريح قلبي وبالي، ولكن لم أجد إلا الصندوق مفتوحًا فتملكني الفضول أخذت أبحث في ذلك الصندوق حتى وجدتُ مربعًا خشبيًّا مرسومًا فأخذت أتحسَّس عليه حتى وجدته يتحرك معي فلم أجد إلا سكينًا صغيرًا بجانب الصندوق ملقاة، فالتقطتها وفتحت ذلك المربع الخشبي حتى وجدته تلك البردية لم أعرف ما هي ولكني أخذهما وهربت لم أنتبه لأي شيء حتى وأنا خارج كسرتُ إحدى مقتنيات الشيخ، ولكن كان كل همي أن أهرب وبالفعل هربت إلى استراحتي، أكاد أجزم أني كنتُ أركضُ كالمجنون حتى وصلتُ إلى استراحتي وأغلقتُ الباب على نفسي.

***

يخرج الشيخ مصطفى من المسجد وهو يبتسم ويسير إلى مترله حتى أن وصل ودلف إلى الداخل فابتسم وقال:

– أقد اقترب الوقت يا مليكة؟

قالت له مليكة:

– اقترب يا مصطفى، ولكن احذر أن تكون إلى جانب أي منهما دعهم حتى يبدأ الخادم عمله.

***

- أي الأيام نحن يا سعيد؟

قالها أكمل، وهو ينهض فنظر له سعيد وقال:

إنه ليلة اليوم الرابع للمهلة،فيقول له إذن تعالَ معي سوف نذهب إلى المطار الآن، لقد سئمتُ وحسمتُ أمري في تلك القضية.

قالها أكمل وسعيد ينظر له ويقول:

- إذًا ما قلته لك في بدء الأمر صحيح تلك المذكرات من وحي خيال ذلك المراقب أوانه ستار لجريمته.

نظر له أكمل وقال:

- لا، بل بها ما هو صحيح أمره، ولكن أرسل تلك المذكرات إلى العميد فوزي سوف يحيلك للتقاعد فورًا، فضحك الاثنان ثم همَّا بالخروج.

***

(27)

أكاد أجزم أني أعيش أسوأ أيام عمري في ذلك المكان ومع ما ألاقيه اليوم هو الثامن عشر، ما شعرت به جعلني أتأهب لشيء ما لا أعلم ماهيته، تذكرت أن معي بردية لا أعلم ما هي، ولكن بكل تأكيد هي طرف من أطراف اللغز، ولكني سوف أقوم بفتحها الآن.

"يا من تقرأ سطوري الآن، يا من فتحت باب المرصد الخامس، اعلم أني أنا الابن الخامس لهم والقوي، لا أبالي بمن حولي ومن عينني قد مات صريع لقائي، فلا تتعجل بموتك فهو آت لا محالة، قوتي تكمن في النار، قوتي هي تلك النفوس المريضة التي سوف ألتهمها بمجرد أن تقرأ تلك البردية، اعلم أن المعركة الكبرى آتية لا محالة، فبكشفك لسري وإعطائي الإذن بالاستيقاظ قد جلبتُ معك نهاية العالم، وأنا من سوف أبعث مع الحبشي مرة أخرى ولن نبالي لإنس أو جان، ولن تستطيع أي قوة أن تقف أمامنا فهو قادم من مرقده مرة أخرى، ولن نبالي

بمن حولنا والضحية هو أنت يا من تقرأ رسالتي، ويا صاحب العهد أي كان ماهيتك فلا عهد لك معي، فالآن حان دوري وتفتح أبوابي ولن تُغلق إلا بخروجه".

نعم هي تلك البردية الخامسة التي سرقتها من الشيخ مصطفى، اهتزت أركان المترل كلها حتى خيَّم الظلام الدامس في غرفتي وكأني مدفون في قبري حتى واهتزت أركان الغرفة حتى سمعت ذلك الصوت يقول:

– والآن فتحت الأبواب للمعركة الكبرى يا مَن سمحت لي بالخروج، قد أذنت لك بمشاهدة ما سوف يحدث وظهور الحبشي مرة أخرى.

صرختُ بأعلى صوت وقلت:

– مَن أنت وماذا تريد؟

أجابني الصوت ونبراته تحمل بذور الخوف في قلبي:

– اذهب حيث تريد وسوف تجد الإجابة وإن لم تجدها سوف تجدك هي حتى أقوم بواجبي وأقدم من دمائك قربانًا للملك الحبشي.

قلت له:

– ولكن محب..

قاطعني سريعًا وقال:

- اذهب الآن ولا تلتفت وراءك، فالباب مفتوح أمامك والنار خلفك وبالفعل وجدت الباب يُفتح على أول طريق المطار، أمسكتُ رأسي وأنا خائف ترتعد أطرافي فكيف يحدث لي كل هذا حتى قاطعني صوت الهاتف فلم أُجبه.

سرتُ على الطريق التي فُتح لي من باب استراحتي على غير هدًى، ما هذا السكون التام كأني في مدينة الأموات وكيف ليوسف ألّا يدير مفاتيح إضاءة المطار بالكامل، سوف أُعنِّفه حين أراه الآن، ولكن لماذا جميع الأبواب موصدة؟ وما هذا الختم الموجود على جميع أبواب المباني الإدارية؟

- يوسف.. يوسف أين أنت؟

قلتها بأعلى صوتي وأنا أنظر حولي أركض على أيٍّ من الأبواب أحاول فتحها فلا تُفتح معي حتى عندما وصلتُ إلى باب غرفة التسجيلات الخاصة بيوسف حاولت مرارًا وتكرارًا أن أفتحها، ولكن شيئًا ما كان يمنعني من الاقتراب إليها حين هممت بلمسها سار الباب كنار بركان ملتهب.

ركضتُ سريعًا إلى برج المراقبة، فتحت الباب سريعًا ثم دلفت إلى داخل البرج، هاتفي يرنُّ كثيرًا ولم أشعر به وتلك هي حقيبتي فتحتها سريعًا حتى صُعقت من هول المفاجأة تلك مذكراتي وما بجانبها هي برديات مفتوحة كتلك التي أحملُها، نعم الآن عرفتُ أن تلك لأبناء

المرصد، أصبح كلام الشيخ مصطفى وتلك المرأة مليكة صحيحًا، أين هو محب؟

نظرت خلفي باتجاه غرفة محب فهبطت سريعًا من البرج باتجاه غرفة محب، هناك شيء ما يشتعل بداخل تلك الغرفة ركضتُ سريعًا كي أرى ما يحدث وفتحت الباب وكأني صُعقت بكهرباء عالية الضغط، حلقة من النيران بداخل الغرفة، ومحب ذلك العجوز السمين مشطور إلى نصفين بحرفية شديدة وكل نصف من جسده معلق بسلسلتين من الحديد وأسفله ذلك الطبق الفضي والذي امتلأ بدمائه وتشربت الأرض به وتلك النقوش المكتوبة والتي تقول:

"جزاء ما اقترفت يداك من إثم وتعدٍّ على مقدسات غيرك يا لص الملوك نلت جزاء ما سرقته، ودماؤك هي مفتاح المقبرة أنت ومن عاونك فلتذهب روحك إلى الجحيم وهناك سوف نتقابل".

خرجت مسرعًا من الغرفة ركضًا مره أخرى وصلت إلى البرج المراقبة وحين هممتُ بالصعود على السلم المعدني رنَّ هاتفي مرة أخرى فأجبتُه دون أي مقدمات ووجدته بديلي محمود.

محمود:

- كيف حالك يا أحمد؟ اليوم سوف آتي إليك غدًا إن شاء الله استعد للعودة.

أجبته قائلًا:

- لا داعي لمجيئك يا محمود الآن تعالَ من أول الشهر القادم حتى تمكث ما مكثته أنا وإلا...

- أحمد ما بك؟ أحمد أجبني، ما بك؟ قالها محمود مذعورًا، أجبته بعدها حين رأيت يظهر من تحت النخلة شيء يشبه البوابة والدائرة تشتعل نارًا خفيفة تلك البقعة التي كان يشير إليها مجاهد الجندي المفقود: محمود لا تأتِ أرجوك، أنا بصدد موضوع ما اكتشفته سوف أخبرك عليه لاحقًا.. انقطع الخط وسقط هاتفي ركضت إلى تلك البقعة سريعًا حتى ظننتُ أني رأيت أشياء تتمثل لي جميع أوراقي وحقيبتي سقطت ولم أبالِ، دخلت تلك الدائرة ولم تمسسني تلك النار بسوء، ولكن ما هذا؟ وكيف ظهر ذلك الباب؟ حين وقفت أمامه فتح لي فلم أفكر كثيرًا حتى دلفت إلى داخله ثم..

***

10 أيام مرت عليَّ هنا ولم أصل إلى شيء لم أكن أتخيل في يوم أن أفشل في قضية كتلك القضية، ولكن تلك القضية لم تكن بالسهلة قتل واختفاء وحرق قضية أكبر من عقل بشري كي يتصورها إلى جانب تلك المذكرات والمخطوطات التي عثرت عليها أيعقل أن يصدقها رؤسائي بالعمل؟ لا أعلم ولكني أعلم الآن أني بصدد إغلاق تلك القضية للأبد وإعلان ذلك المكان كمنطقة عسكرية محظورة، قالها أكمل وهو ينظر إلى سعيد الذي نظر إليه بإشفاق ثم قال:

- لا عليك يا أكمل فقد بحثنا في كل شيء بلا جدوى، فمن الأفضل أن تُقيَّد تلك القضية ضد مجهول أو على حسب رؤيتك بحيث لا تعمل بها مرة أخرى.

نَظَرَ أكمل حوله وهو يسير ببطء نحو السيارة ويقول:

- ولكن قبل أي شيء يجب أن أزور بعض الأماكن التي ذكرت في تلك المذكرة الخاصة بالمراقب الجوي حتى يستريح عقلي من تلك الأفكار التي زرعت من خلال تلك المذكرات والتي لم يكملها.

***

(28)

– الآن قد فُتحت أبواب الجحيم بظهور صاحب المرصد الخامس فمن قرأها قد أعلن بداية الحرب وقرب ظهور الحبشي، هل أنت مستعد لتقود تلك الحرب؟

قالتها مليكة وهي تنظر إلى الملثم وهو ينظر إليها في ثبات هائل ثم يُجيبها ويقول:

– أي حرب تتحدثين عنها فالحرب بين أبناء المرصد الخمسة ولسنا أحد أطرافها فلِمَ الخوف إذًا؟

أجابته مليكة، وهي تسير معه بالقرب من أرض المعركة هي تقول:

– أعلم أن هذه الحرب هي الفاصلة، إما أن يظهر الحبشي أو يختفي إلى الأبد مع أبناء المرصد الأربعة، وقد آن الأوان أن يبعث من مرقد حتى ننهي ما فعله أولئك الأوغاد، وأن نطهر مملكة الجنوب.

ينظر لها الملثم وهو يقول:

- مليكة الآن أريد أن أفهم 5 إخوة يتقاتلون، أربعة ضد واحد، لماذا؟ وإلى جانب ذلك ماذا حدث مع سارقي القبور؟ وصاحب العهد الجديد، أين هو الآن؟ وهل هو بحق خليفة المبروك؟ أيضًا كيف ستُقام تلك المعركة بوجود بشر يعيشون معنا في نفس المكان؟ وتلك المعركة سوف تحدث جلبة كبيرة ومن الممكن أن يموت سكان ذلك حتى بتلك المكان بالمناطق المجاورة، أليس ذلك صحيحًا يا مليكة؟

توقَّفت مليكة عن السير، ثم قالت له:

- الآن سوف أُجيبك حتى تستريح،فأنصت لي جيدًا، أبناء المرصد الخمسة هم من عُيِّنوا لحماية الملك الحبشي، أربعة من ذوي القناع الذهبي لكل واحد منهم وظيفة، قد جمعهم الملك الحبشي في واحد منهم حين وفاته وفي المعركة لن ترى إلا أربعة جيوش بقائد واحد أما الخامس فهو صاحب القناع الناري وهو الوحيد الذي خشي الحبشي أن يستعمله حتى لا يقع في يد شخص مختل فيحول المملكة إلى جحيم والدليل على ذلك عندما تُوفي الملك الحبشي وظهر الامين أخوه قد ساد الخراب والدمار المملكة دون أي شيء، فما بالك بأن تقع البردية الخامسة بين يديه، فتم قتله على يد صاحب العهد الأول وأخفى تلك البرديات بواسطتي حتى توارثها صاحب العهد الثاني ثم صاحب العهد الثالث والأخير، وكان ضعيف الشخصية وحدث ما

حدث حين تمت سرقته مرتين، المرة الأولى حين سُرق منه الصندوق وبالبرديات الأربع، والثانية حين سُرق منه الكتابان ومذكرة الشيخ المبروك والتي ظن أنه حرقها، إما لسارقي القبور فقد نالوا جزاءهم ولا تطلب مني شرحًا لذلك، فدماؤهم قرابين للحبشي، أما عن صاحب العهد الجديد فهو الآن نائم في بيته في حالة سُبات عميق كالأموات حتى تنتهي المعركة، وحين يستيقظ لن يتذكر أي شيء سوى القليل وهو خليفة الشيخ المبروك، ولكن اختياره لم يكن موفقًا، أما بالنسبة للمعركة فهي سوف تقام على تلك الأرض المقدسة، ولن يشعر بها أي بشري طوال فترة المعركة؛ ولذلك وجب تنبيهك أنك طرف بشري ومختار لأن ترى تلك المعركة، هذا كل ما في الأمر.

ينظر لها الملثم ثم يقول لها في هدوء:

- ولكن ما دوري أنا في تلك المعركة؟ وكيف للملك الحبشي أن يظهر مرة أخرى أو كما تقولين يُبعث من مرقده؟

نظرت له مليكة في غضب واضح وقالت:

- أيها الملثم هناك حرب سوف تقوم وأنت من سوف يبدؤها ولا تدخل حتى يفوز أحد الطرفين منهم وحينها سوف يظهر السيف الذهبي الخاص بالملك الحبشي وحينها سوف تقوم معركة بينك وبين المنتصر، فإذا قتلته بضربة سيف واحدة سوف يُفتح باب قبر الحبشي ويخرج منه وتكون أنت تابعه وتطهرون مملكة الجنوب، أما إذا كانت

الغلبة للمنتصر فإنك سوف تكون قربانًا لابن من أبناء المرصد وأيضًا سوف يظهر الحبشي ولكن سوف يكون خادمًا له.

أجابها الملثم في تعجبٍ واضح المعالم وهو يصيح:

- وكيف لي بحمل ذلك السيف وقتال ابن من أبناء المرصد والمنتصر على إخوته؟ أجيبيني ولا تكوني حمقاء، أنا لا أُجيد قتال السيف ولا أُجيد أي شيء سوى أني أُريد أن أكون للحبشي تابع ومخلص له.

أجابته مليكة في حدة وصوت عالٍ كـــأنه صوت قادم من الأعماق وقالت له:

- سوف تعرف حينها أيها الأبله، وانا بجانبك فلا تحسب حسابًا لشيءٍ ولا تتكلم كثيرًا.

نظر لها الملثم في هدوء شديد ثم أكمل سيره في الطريق دون أن يلتفت لها حتى وصل إلى أرض المعركة وهي أرض المطار التي كانت خالية كمدينة أشباح.

اللعنة! أشمُّ رائحة الموت في كل مكان، ولكني لستُ خائفًا بل في قلبي شجاعة أسد جسور يزأر على أعدائه، ومليكة بجانبي واقترب ظهور الحبشي، إذًا لماذا القلق؟ لقد حانت اللحظة التي انتظرها وها هو هناك يظهر قبر الحبشي من باطن الأرض بصوره واضحة وكأنه صخرة كبيرة في وسط الصحراء.

يرنُّ جرس الهاتف فيجيبه أكمل فإذ هو العميد فوزي وهو يقول:

– ما الأخبار الآن يا حضرة المقدم.

أكمل:

– لقد أوشكت على الانتهاء كتابة التقارير وفي خلال يومين سوف أُسلّم لمعاليك التقرير مفصلًا على مكتبك.

نظر سعيد إلى أكمل باستغراب ثم قال له:

– كيف لك أن تحل تلك القضية بسهولة؟ ألم تقل منذ برهة إن تلك القضية مُعقدة.

ضحك أكمل وقال له:

– أعلم ولكن يجب أن تغلق تلك القضية والمدة أوشكت على الانتهاء، ولا تشغل بالك هيا بنا إلى أرض المطار فأريد أن أرى ما تم الوصول إليه من قبل اختصاصي الطب الشرعي والمعمل الجنائي.

خرج أكمل وسعيد، وهم يضحكون على تقليد أكمل للعميد فوزي رغم أن كل الإدارة تعلم أن أكمل لا يعرف وجهه الابتسامة، وحين ركبوا نَظَرَ أكمل وقال:

– لقد تركتُ اختصاصي الطب الشرعي والبحث الجنائي طوال تلك الفترة حتى أستطيع أن أتبين الحقيقة كاملة.

نظر أكمل طوال الطريق ولم يتكلم بأي كلمة حتى وصلوا إلى أرض المطار فنظر له سعيد وقال: أكمل ما بك؟

نظر أكمل إلى سعيد ثم إلى مبنى محترق بالكامل وقال:

- قل لي يا سعيد: ألم يكن في المطار خزانات وقود للطائرات، فأين هو؟

أجابه سعيد وهو يمسك ببعض من الرماد على الأرض ويستنشقه ويقول:

- لا أعلم أين بالتحديد، ولكن رائحة ذلك الرماد الذي أمسك به كالوقود ولكن به رائحة أيضًا غريبة لا أعرفها.

نظر له أكمل ثم قال:

- الآن سوف نعرف كل شيء يجب أن نغادر غدًا في المساء حتى نصل صباحًا إلى القاهرة، وحينها سوف أطالب بإجازة طويلة لكي أستريح.

اجتمع أكمل وسعيد باختصاصي الطِّب الشرعي وأحد أفراد المعمل الجنائي ونظر لهم ثم أشعل سيجارته وهو يقول:

- الآن أيها السادة أريد تقريرا مُفصَّلًا عن تلك الحادثة.

اختصاصي الطب الشرعي: مع التحريات والتحاليل التي قمت بها أودُّ أن أنبِّه سيادتك أن تاريخ الحريق كان على مدار 3 أيام متصلة

نتيجة لحدوث ماس كهربائي في أحد مولدات الكهرباء الموجودة أول طريق المطار إلى جانب أن بجانبها 5 خزانات وقود، وذلك أدى إلى حدوث الحريق وامتداده بسهولة.

نظر له أكمل وعلى وجهه علامة عدم الاقتناع بكلامه ثم قال:

– وكيف لك أن تحدد ذلك أيها الخبير؟ مع العلم أن برج المراقبة بداخل تلك الدائرة ولم يحترق؟!

نَظَرَ له خبير الطب الشرعي وقال:

– يا سيدي هناك بعض الأمور غير الطبيعية في ذلك المكان ومن ضمنها أيضًا فالجانب الآخر من الممر هناك دائرة قطرها 70 مترًا في 50 مترًا أيضًا لم تحترق، ولكن وجدنا نصف دائرة مرسومًا من الناحية الأخرى عند نخلة قابعة هناك.

نظر له أكمل ثم زفر دخانه وقال:

– وماذا بعد؟

قاطعه خبير المعمل الجنائي وقال:

– سيدي ذلك الحريق نشب بفعل فاعل والدليل على ذلك ما وجدناه ومن الأرجح أنه ذلك المراقب الجوي، وأيضًا رائحة المكان مزيجٌ ما بين الوقود والكبريت وهذا ما أثبتته التحاليل.

نظر سعيد لهم وهو مستهجن كل ما قيل:

- يا أكمل بك، أيها السادة الأفاضل ما تقولونه هو محض افتراضات، فكيف لشخص أن يفتعل حريقًا كاملًا كذلك الحريق وأيضًا إذا كان هو من فعلها ولم تمسسه النار بسوء،أيها السادة اعقلوا ما تقولونه، تلك قضية تهتم بها جهات سيادية في الدولة.

ساد الصمت واليأس المكان ولكن أكمل قطع ذلك الصمت وخرج من الخيمة ثم قال:

- هيا بنا يا سعيد،أيها السادة أريد تقريرًا مُفصلًا صباحًا واستعدوا للعودة إلى القاهرة، نظر له سعيد في استياء ثم اتجه إليه، ولكن أكمل نظر إلى تلك البقعتين التي قال عنهم خبير الطب الشرعي ثم سار باتجاههم وسار سعيد خلفه وحين وصل إلى برج المراقبة أخذ يتفحص النظر إلى البرج وسُلمه المعدني ثم نظر إلى سعيد وصعد إلى ذلك البرج وأخذ في تفحُّصه ثم هبط درجاته وقال لسعيد:

- انتظرني أنت ولا تتحرك فأريد أن أعرف أشياء قد قرأتها في تلك المذكرة ة حتى أكمل معلوماتي يجب أن أذهب وحدي.

نظر له سعيد وقال:

- تفضّل يا أكمل بك.

سار أكمل حتى وصل إلى الجانب الآخر ورأى ما قاله خبير الطب الشرعي ثم اتكأ على أحد ركبتيه والتقط ورقةً مكتوبة، ولكنها لم تكن ورقة بل بردية.

***

(29)

وقف الملثم ومليكة في منتصف أرض المعركة حيث تحولت كل شيء من مباني لأشجار لكل شيء موجود بأرض المطار إلى أشياء غير مرئية ما عدا تلك البقعة التي يوجد بها القبر فنظرت له مليكة نظرة فخر وتحدٍّ وقالت لي: تلك هي أرض المعركة وتلك هي البداية استعد أيها الملثم فقد حانت اللحظة التي طال انتظارها، ثم اختفت.

***

وقفت وسط أرض المعركة وهناك وجدت ذلك العلم بلونه الأسود في وسط أرض المعركة، جذبت العلم ناحيتي ورفعته فكان المنظر مهيبًا،حيث ظهور جيشين على أطراف الأرض يقودهم رجلان، رجل على الطرف الأيمن طويل القامة مفتول العضلات يرتدي قناعًا ذهبيّ اللون يشعُّ منه النور ومع جيش جرار يصيح بجنوده أن

يستعدوا وتشعر وكأنهم من بني البشر،والطرف الآخر ذلك الشخص صاحب القناع الناري وهو ما شعرت بشيء من الرهبة ناحيته، فجنوده كلهم من نار ووجوهم وأجسادهم ضخمة تأكلها النيران.

حين سحبت ذلك العلم وجدت هذين القائدين يتقدمان نحوي وينقيان عنيَّ السلام ولكن بطريقة أثارت في نفسي الرهبة فأنا أعلم جيدًا أن الغلبة سوف تكون للأقوى، ولكن ما أراه هو أن تلك المعركة سوف تؤدي إلى نفس النتيجة وهي ظهور الحبشي، ولكن إلى أي جانب سوف يكون لا أعلم، سرت بطريقي إلى قبر الحبشي أنتظر ما سوف يحدث ولكن وجدت نفسي ألتقط سوطًا وأضرب به الأرض وحينها بدأت تلك المعركة الدامية، وما أجده وأراه ما هو إلا أصوات مختلطة من القتال والصراخ إلى جانب سقوط الكثير من الجثث للطرفين، حرب يغلب عليها الطابع القديم للحروب ففي أول الحرب تقدَّم أول فارسين من كلا الطرفين وهما أقوى فرسان الجيشين حتى قتل أحدهما الآخر وهنا بدأ الالتحام بسيوف نارية، قتال قوي وعنيف وأنا واقف بذلك السوط ولم أتدخل كما قالت لي مليكة فليس لي ، القتال شيء، ولكني وجدتُ أن جيش المقنع الناري يدحر الجيش الآخر بطريقة غير طبيعية حتى نظرت بجانبي فوجدتُ أن ذلك السيف الذهبي بدأ في الظهور من باطن الأرض وأمام قبر الحبشي، المعركة ما زال مستمرة بعنف شديد حتى بلغ القتال أشده، وهنا ظهرت مليكة بجانبي وهي همس في أذني:

- شاهد واستعد.

ثم ضحكت ضحكة شيطانية واختفت.

بعد أن اندثر الجيشان، واختفيا ظهر القائدان وهما ينظران إلى بعضهما البعض في تحدٍّ واضح وبدآ قتالًا عنيفًا دمويًّا لم أشاهده من قبل ولا حتى في أفلام الغرب، كل ضربة تصدر منها حرارة شديدة كأنها نار جهنم في الأرض، قتالًا أكاد أجزم أن لو رآه أحد فسوف يشيب شعر رأسه من هول المنظر،صاحب القناع الناري كان الأقوى، كان الأعنف في القتال سيفه الناري وبشاعة منظره، كل ضربة له ينظر لي ويقول: استعد أيها التعس، فأنت التالي، من هول المفاجأة تسمرتُ مكاني، فلم أسمعهم طوال المعركة يتحدثون، لم أسمع غير صرخات الحرب والقتال والموت.. ضربة سيف للقائد ذي القناع الذهبي يخرُّ صريعًا في الأرض ويحترق أنظر إلى صاحب القناع الناري وهو يتقدم نحوي وأرجع أنا إلى الوراء وهو يقول:

- الآن حان وقت ملاقاة مصيرك أيها الفاني.

فجأة ظهرت مليكة ثم صرخت فيَّ وقالت:

- الآن أيها الملثم.

ركضتُ نحو السيف الذهبي والتقطته ببراعة شديدة وكأني فارس تربَّى في أرض المعارك منذ ولادته، فهم المقنع الناري بالركض نحوي وحاول ضربي بسيفه الناري وهو يصرخ ويقول:

- الحبشي لي أيها الفاني.

لم أنتظر كثيرًا فتفاديت ضرباته حتى أصابتني ضربة في كتفي جعلتني أسقطُ أرضًا وأصرخ من آلامها ولكن وجدت مليكة تصرخ بشدة وتقول: الآن أيها الغبي، اضربه الآن.

لم أكن أتخيل أن نهايتي سوف تكون على يديك أيها الفاني، قالها المقنع الناري ابن المرصد الخامس وأنا أغرس سيف الحبشي الذهبي في أحشائه ومشاهدته يحترق ومليكة تُهلل فرحًا وأنا مبتسم ابتسامة الفخر بما فعلته،وفجأة سمعت صوتًا أشبه بصوت دوي هائل أو ارتطام شيء بشدة في الأرض وهنا ظهر ضوء شديد جعلني أغمض عيني حين نظرت إليه قادمًا من قبر الحبشي.. إنه هو الملك الحبشي ظهر أخيرًا بتلقائية، وجدتُ نفسي أركعُ له على ركبتي ومليكة بجانبين ويظهر من ورائه عشرة من الفرسان وهم حراس المعبد.

***

"بناء على ما كلفنا به أنا المقدم أكمل ضرغام في التحقيق في القضية رقم 2986 وهي حريق مطار جنوب مصر واختفاء المراقب الجوي المكلف به، وبعد تحريات استمرت مدة عشرة أيام تبيَّن لنا الآتي:

1- بخصوص واقعة حريق مطار الجنوب بأكمله بعد التحريات التي قامت به فرقه البحث الجنائي واختصاصي الطب

الشرعي تحت إشرافي كان الحريق ناتجًا عن ماس كهربائي من داخل مبنى مولدات الكهرباء، والتي بجانبها محطة وقود خاصة بالطائرات ومما أدى ذلك إلى امتداد الحريق إلى باقي مباني المطار والتي وجدت أنها غير صالحة للاستخدام ولم يكن بها أيٍّ من عوامل الأمان، كما أن المطار غير مُجهَّز بعربات للإطفاء مما أدى إلى امتداده أكثر حتى شمل بعض المباني المجاورة لأرض المطار.

2- بخصوص واقعة اختفاء المراقب الجوي / أحمد فهيم فلم نستدل على أي شيء سوى بعض من أوراقه الشخصية وبعض من متعلقاته بداخل برج المراقبة الجوية ولم نجد له أي أثر سوى ذلك وسوف يتم إبلاغ وزارة الطيران المدني والشركة التابع لها حتى تقوما بعمل اللازم، وهو الآن في عداد المفقودين وجارٍ البحث عنه.

3- في أثناء عمليات البحث تم العثور على جثه شخص يُدعى الدكتور/ محب فاروق وهو المختص بالوحدة الصحية، وجارٍ الكشف عن ملابسات الحادث، جارٍ البحث عن الجاني.

ونحيط سيادتكم علمًا بأنه تمت التحقيقات بواسطتي وبواسطة قوة الشرطة الخاصة بتلك المنطقة".

مقدمة لسيادتكم

المقدم / أكمل ضرغام

إدارة الأمن القومي لوزارة الداخلية

أغلق أكمل الملف، ثم نظر إلى سعيد قائلًا:

- انتهيتُ من التقرير النهائي يا سعيد ولم يتبقَّ لنا سوى جمع معداتنا والاستعداد للرحيل.

أجابه سعيد في ثباتٍ وقال:

- هل أنت واثق بذلك التقرير يا أكمل؟ وهل ترى أن الإدارة بالقاهرة سوف تقتنع بذلك؟ وهل كتبت عن تلك المذكرات الخاصة بالمراقب الجوي؟

نظر له أكمل في جدية شديدة وهو يمسك بتلك الورقة وينظر لها ويقول:

- أُغلقت القضية يا سعيد، واستعدوا للرحيل.

***

(30)

"أنا الحبشي ملك مملكة الجنوب بُعثت من جديد من على يد خادمي الأمين، يا حراس المعبد ويا حارسة الصندوق لقد عدتُ اليوم من جديد حتى أُنظف مملكتي من الفوضى التي اجتاحتها، آن الأوان أن يرجع مجد مملكتي من جديد".

ينظر الملك الحبشي إلى الملثم ثم يقول:

- الآن أنت تملك كنوز مملكة الجنوب فهنيئًا لك.

ينظر الملثم ومليكة إلى بعضهم البعض ثم ينحنيان تحية للملك ثم يخرجان من القبر باتجاه أحد الجبال الصحراوية وهما مبتسمين ولكن لم تكن تلك الابتسامة معهودة بينهما.

***

الآن أستطيع أن أنام قرير العين وأن أستريح بعد تلك القضية العجيبة والتي لم أعهد مثلها قط طوال مدة خدمتي قالها أكمل وهو ينظر إلى المكان للمرة الأخيرة، ثم ينظر مرة أخرى إلى سعيد ويقول:

- هيا بنا يا سعيد، فلم يعد لك مكان هنا.

نظر له سعيد وهو مبتسم ثم يقول:

- ليس الآن يا أكمل سوف أُغادر غدًا حتى أستطيع أن آخذ جميع متعلقاتي بعد أن جاءني أمر بالنقل إلى القاهرة.

نَظَرَ له أكمل ثم لوَّح بيده تحية له ثم ركب السيارة، فابتسم سعيد ابتسامة غريبة ثم نظر إلى أعلى الجبل المقابل للمطار، أدار سائقها المحرك وهمَّ بالتحرك، فأخرج أكمل تلك البرذية المكتوبة باللغة العربية حتى صُدِمَ من هول ما قرأه:

"لقد رأيتُ ما لم تَره عيناك يا من تقرأ سطوري الأخيرة، فلا تحاول نبش تلك القبور حتى لا يقوم من مرقده وتتحول حياتك الي لعنة لا يعلم مداها إلا القدير.. نعم أنا من حاولت الوصول إلى الحقيقة وسوف أصل إليها فلا تحاول اللحاق بي في تلك البقعة من الأرض لأنك لن تصل إلى شيء سوى الخراب عليك وعلى نسلك من بعدك.. تلك هي سطوري الأخيرة في مذكراتي ولن تكون نهايتي بل بداية لحياة جديدة".

أمَرَ أكمل السائق أن يتوقف قليلًا مما اثار استغراب السائق الذي توقف علي الفور وترجل أكمل من السيارة ونظر إلى الصحراء وقال بصوت مُرهقٍ من التفكير:

- مَن أنت وماذا تريد؟

ثم أمسك قداحته وأشعل النار في تلك الورقة ثم ركب السيارة التي همّت بالرحيل.

***

على الجانب الآخر كان هناك من يشاهد تلك السيارات تتحرك مغادرة المكان، الملك الحبشي وراءه الخادم الملثم ومليكة حارسة الصندوق ويطوقهم حراس المعبد المرافقين للحبشي وما إن التفت إليهم الحبشي وقال لهم:

- الآن نبدأ بتطهير مملكة الجنوب.

فنظر الملثم إلى مليكة ثم إلى الملك الحبشي حتى استلّ خنجرًا من طيات ملابسه، وطعن الملك الحبشي طعنةً مُوجَّهةً إلى قلبه وقال:

- الآن أنا من أحكمُ مملكة الجنوب.

نظرت له مليكة في إعجابٍ على براعته في تنفيذ الخطة المتفق عليها، ثم انحنت له ثم قام الفرسان بدورهم بالانحناء إلى ملك الجنوب الجديد.

"والآن قد اكتمل عهدي ووفيتُ بوعدي، الآن أنا ملك الجنوب صاحب قوة أبناء المرصد وحكمه الحبشي ودهاء الأمين، أنا الآن صاحب تلك اللعن، وها قد حانت بداية النهاية".



لعنة المرصد

"يا مَن تقرأ سطوري الآن، يا من فتحت باب المرصد الخامس، اعلم أنني أنا الابن الخامس لهم والأقوى، لا أبالي بمن حولي ومن عينني قد مات صريع لقائي، فلا تتعجل بموتك فهو آتٍ لا محالة، قوتي تكمن في النار، قوتي هي تلك النفوس المريضة التي سوف ألتهمها بمجرد أن تقرأ تلك البردية، اعلم أن المعركة الكبرى آتية لا محالة، فبكشفك لسري وإعطائي الاذن بالاستيقاظ قد جلبت معك نهاية العالم، وأنا من سوف أبعث مع الحبشي مرة أخرى ولن نبالي إنسًا أو جانًا، ولن تستطيع أي قوة أن تقف أمامنا، فهو قادم من مرقده مره أخرى، ولا نبالي بمن حولنا والضحية هو أنت يا من تقرأ رسالتي، ويا صاحب العهد أيًا كان ماهيتك فلا عهد لك معي، فالآن حان دوري وتفتح أبوابي ولن تُغلق إلا بخروجه".

غلاف : أسامة علام



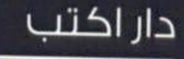
أحمد ابراهيم .. مؤسس حملة اعرفوهم

صاحب فكرة سلسلة ادرينالين

صدر منها :

العدد الأول بعنوان الراحل و قصص أخري

العدد الثاني بعنوان لعنة الدم

للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية – القاهرة – مصر

E-mail daroktob1@yahoo.com

01111947957

